الولاية

التكوينية والتشريعية

في ضوء

الكتاب والسنة وأقوال العلماء

الدكتور

السيد علاء الدين السيد أمير محمد الكاظمي القزويني

مكتبة اليحوادين العامة
مؤسسة السيد مهدي الدين الحسيني

التكوينية والتشريعية
في ضوء
الكتاب والسنة وأقوال العلماء

الدكتور
السيّد علاء الدّين السيّد أمير محمّد الكاظمي القزويني

٢٠٠٠ نسخة

الطبعة الرابعة

١٤٢٧هـ . ق - ٢٠٠٦ م

حقوق الطبع محفوظة

قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين، يَدْعُو من دون الله ما لا يضرّه وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد﴾. صدق الله العلي العظيم

الحج آية ١١ ، ١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿**وقالوا لن نؤمن لك حتى تَفْجُرَ لنا من الأرض ينبوعاً، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولاً**﴾. الإسراء ٩٠،٩١،٩٢،٩٣،٩٤

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم ومنكري فضائلهم أجمعين إلى قيام يوم الدين، والعن اللهم كل مغالٍ وناصب أثيم، اللهم اجعلنا من المتمسكين بحبلهم يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم. أما بعد :

فإن الولاية المطروحة في هذا البحث، ليست مطلق الولاية التي تختلف باختلاف المفاهيم التي تنسب إليها، وإنما المراد من الولاية معنى خاص، وذلك بملاحظة اتصافها تارة بالتكوينية، وأخرى بالتشريعية، هذه الولاية الموصوفة بهذا الوصف هي محل بحثنا، ولا عبرة لنا بالمعاني الأخرى، التي لا صلة لها بهذا البحث.

فالولاية التي هي بمعنى الإدارة والتصرف في شؤون الكون، هي

المبحوث عنها، وبمعنى آخر، إن المراد من الولاية، الولاية التي تصح للولي التصرف في الأشياء وتدبير أمر الخلق بما شاء، وكيف شاء، وذلك بإعمال ولايته، **«وإذا كان له تعالى حقيقة الملك، وكان هو المتصرف بالإيجاد والتدبير والإرجاع فهو المولى الحق الذي يثبت له معنى المولوية»** [1]. أما المعاني الأخرى للولاية، فهي خارجة عن موضوع بحثنا، إذ لا علاقة لها بموضوع البحث الذي هو التصرف والإدارة والتدبير. فالنصير والمحب والصديق والحافظ، وغيرها من معاني الولاية خارجة عن الموضوع . ودليل ذلك ما يقوله السيد الطباطبائي في تفسير قوله تعالى : **﴿هنالك الولاية لله الحق﴾، «ان الولاية بمعنى مالكية التدبير، وهو المعنى الساري في جميع اشتقاقاتها .. وكل شيء وملكِ تدبيره لله، لأنه إله حقّ له التدبير والتأثير بحسب واقع الأمر، وغيره من الأسباب الظاهرية المدعوة شركاء له في التدبير والتأثير باطل في نفسه لا يملك شيئاً من الأثر»** [2].

فالولاية لها معان تختلف تبعاً إلى من تنسب إليه، فتارة تنسب إلى الله سبحانه، وأخرى تنسب إلى غيره، فإن نسبت إلى الله، كان معناها التصرف في الإيجاد والتدبير، وهي إما أن تكون بمعنى الإدارة في التكوين، فتكون الولاية تكوينية، أو تكون الإدارة في التشريع ووضع القوانين، فتكون الولاية تشريعية، وكل من

١- الطباطبائي : الميزان - جـ ٧ - ص ١٣٢ .
٢- الطباطبائي : الميزان - جـ ١٣ - ص ٣١٧ .

الولاية التكوينية والتشريعية منحصر في الله سبحانه، يقول جوادي آملي : «**فالولاية قد تأتي بمعنى الإدارة في التكوين أو في التشريع وهذا المعنى كذلك منحصر في الله سبحانه**» [1].

وأما إذا نسبت الولاية إلى غيره تعالى، فيراد منها التنفيذ والتطبيق وهذا ما سنشير إليه إن شاء الله . ولهذا فما ورد في قوله تعالى : ﴿**فالله هو الولي**﴾، ليس فقط أن الله له ولاية، وإنما الولي هو الله فقط، إذ أنه بناء على التوحيد الأفعالي، لا يعقل أن يكون لموجود القدرة على التصرف في الكون في قبال تصرف الله سبحانه، فعالم التكوين، وهو عالم الخلق والإيجاد والاختراع، المعبر عنه بكلمة «كن فيكون»، مختص بالله سبحانه، إذ لا خالق إلا الله، فلا شريك له في الخلق، كما لا شريك له في التشريع ووضع القانون، ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾. فكما له عالم الخلق والتكوين، فله عالم التشريع. قال تعالى : ﴿**ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله**﴾. الزمر، ٣٨ «**لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية، قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره، أي أرأيتم بعد ما تحققتم أن خالق العالم هو الله، أن آلهتكم إن أراد الله أن يصيبني ضراً هل يكشفنه. أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته فيمسكها عني**» [2]. فالذي لا يملك القدرة على أن يدفع

١- جوادي آملي : ولاية الإنسان في القرآن - ص ٢١٢، ٢١٧ .
٢- الفيض الكاشاني : الصافي - جـ ٤ - ص ٣٢٢ .

الضـر عن نفسـه، كيف يستطيع أن يملك **ولاية تكوينيـة وحق** التصرف والتدبير.

وحيث إن البحث حول الولاية، **بمعنى الإدارة والتدبير والخلق** والإيجاد، فإن الآيات القرآنية التي تتكلم حول حاكمية الله المطلقة، ونفيها لحاكمية غيره من الملائكة والأنبياء والأوصياء، أكبر شاهد على حصر الولاية التكوينية والتشريعية فيه سبحانه. والآيات الواردة حول حاكمية الله، كما يقول جوادي آملي على طوائف عدة، فبعضها ينفي الحاكمية بقول مطلق عن غير الله، ويثبتها لله مثل ما ورد في قوله تعالى : **﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله﴾**. يوسف، ٤٠ .

«ففي هذه الآية قد نفى عن غير الله كل نحو من الحاكمية التشريعية والتكوينية وأسند الحكم والأمر لله عز وجل» . وبعد ذلك قال : **﴿أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** .[1] ولهذا يقول الطباطبائي في تفسير هذه الآية : **﴿إن الحكم إلا لله﴾، «مما لا ريب فيه البتة، إذ الحكم في أمر ما لا يستقيم إلا ممن يملك تمام التصرف، ولا مالك للتصرف والتدبير في أمور العالم وتربية العباد حقيقة إلا الله سبحانه فلا حكم بحقيقة المعنى إلا له»** [2]. وهذا يثبت الولاية

١- جوادي آملي : ولاية الإنسان في القرآن - ص ١٩٩ .
٢- الطباطبائي : الميزان - ج ١١ - ص ١٧٧ .

التكوينية والتشريعية لله سبحانه، وينفيها عن غيره مطلقاً.

يقول محمد جواد مغنية : **﴿إن الحكم إلا لله﴾.. أي أن حق التشريع لله وحده، وعلى الناس أن يطبقوا ما شرعه الله. ﴿ذلك الدين القيم﴾. ذلك إشارة إلى حصر التشريع والعبادة بالله، والمعنى أن الدين المستقيم الذي لا عوج فيه هو الذي يخص الله وحده بالتشريع والعبادة، وليس لأي إنسان أن يستعبد الناس، أو يشرع لهم الأحكام والحلال والحرام، فالكل حتى الأنبياء عبيد لله يعملون بأمره ونهيه**[1] ، فهذا الحصر يدل على نفي الحاكمية التكوينية والتشريعية عن غير الله، ويثبتها له سبحانه. ودليل ذلك ما يقوله ناصر مكارم الشيرازي في تفسير قوله تعالى: **﴿له الحكم﴾ والحاكمية في عالمي التشريع والتكوين .. وطالما كان التدبير لنظام الوجود بيده والحكم له .. فما عسى أن نجد لمعبود سواه من أثر؟ وأي شيء يستحق العبادة سواه** » [2].

ومن الأدلة على حصر الولاية في الله سبحانه ونفيها عن غيره، ما يقوله الطباطبائي في تفسير قوله تعالى : **﴿وله الحكم وإليه ترجعون﴾، «وهو سبحانه مالك في مرحلة التشريع والاعتبار، كما أنه مالك في مرحلة التكوين والحقيقة، ومن آثار ملكه أن يقضي على عبيده ومملوكيه أن لا يعبدوا إلا إياه»**[3] .

وأما ما يقال : **«من أنه سبحانه هو المالك على الإطلاق، لا**

١- محمد جواد مغنية : التفسير الكاشف - جـ ١٢ - ص ٤١٦ .
٢- ناصر مكارم الشيرازي : الأمثل - جـ ١٢ - ص ٢٩٤ .
٣- الطباطبائي : الميزان - جـ ١٦ - ص ٧٠ .

يملك غيره إلا ما ملكه إياه، المراد بهذه العبارة الولاية في التنفيذ والتطبيق، حيث إنه سبحانه، ملّك الأنبياء والأوصياء تبليغ وتطبيق ما شرعه لهم من الأحكام. أما ما يتعلق بملكه سبحانه من الإدارة والتدبير، والخلق والإيجاد، فلم يُملِّكه لأحد على الإطلاق، لقوله تعالى : ﴿**ولله ما في السماوات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور**﴾ آل عمران، ١٠٩ . وقوله تعالى: ﴿**ولله ملك السماوات والأرض والله على كل شيء قدير**﴾ آل عمران، ١٨٩ . وقوله تعالى: ﴿**ولله ما في السماوات وما في الأرض**﴾ النساء، ١٢٦ . خلقاً وأمراً وملكاً، فهو مستغنٍ عن جميع خلقه، وجميع خلقه محتاجون إليه. وقوله تعالى : ﴿**تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، الذي خلق الموت والحياة**﴾، يقول الطباطبائي في تفسيره لهذه الآيات: «**والآيات - كما ترى - تعلّل الملك بالخلق، فكون وجود الأشياء منه، وانتساب الأشياء بوجودها وواقعيتها إليه تعالى هو الملاك في تحقق ملكه، وهو بمعنى ملكه الذي لا يشاركه فيه غيره ولا يزول عنه إلى غيره، ولا يقبل نقلاً ولا تفويضاً يغني عنه تعالى ويُنصبُ غيره مقامه .. وهذا هو الذي يفسر به معنى الملكوت في قوله : ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾**.

فالآية الثانية تبين أن ملكوت كل شيء هو كلمة «كن» الذي يقوله سبحانه له، وقوله، فعله، وهو إيجاده له، فقد تبين أن

الملكوت هو وجود الأشياء من جهة انتسابها إلى الله سبحانه، وقيامها به، وهذا أمر لا يقبل الشركة، ويختص به سبحانه وحده، فالربوبية التي هي الملك والتدبير لا تقبل تفويضاً ولا تمليكاً انتقالياً، [1]. وبهذا تثبت الولاية التكوينية والتشريعية لله وحده، وتنفيها عن غيره.

وهناك آيات أخرى تنفي الخالقية عن غير الله، وتحصرها فيه سبحانه، كما تنفي الشريك، وتقول : **﴿قل من رب السماوات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾**. الرعد، ١٦ .

والسر في أنه لا أحد يشرك الله في خلقه، بعد أن سلب الولاية عن غيره نفى الشريك في الخلق، إذ لو أن أحداً غير الله له أن يمتلك السلطة التكوينية والتشريعية، لكان قادراً على أن يخلق كخلقه سبحانه، وحينئذ يتشابه الخلق عليهم، فلا يعلم أيهما لله سبحانه، وأيهما للشريك، ولهذا نفى الله سبحانه هذه الولاية وهذه السلطة وحصرها في ذاته المقدسة بقوله : **﴿قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾**.

يقول الطباطبائي في تفسيره : **﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا**

١- الطباطبائي : الميزان - جـ ٧ - ص ١٧١ .

كخلقه فتشابه الخلق عليهم﴾، «يقول لنبيه (ص)، هؤلاء، تمت عليهم الحجة في توحيد الربوبية من جهة اختصاصه تعالى بالخلق والإيجاد، فلم يبق لهم إلا أن يقولوا بشركة شركائهم في الخلق والإيجاد .. ثم أمر النبي (ص) أن يلقي إليهم ما يقطع دابر هذا الاحتمال فقال : ﴿قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾.. أي أنه تعالى واحد في خالقيته لا شريك له فيها» [1].

ولهذا يقول الشيخ الطوسي في تفسير الآية : «على أنه تعالى إنما نفى أن يكون أحد يخلق مثل خلقه، ونحن لا نقول إن أحداً يخلق مثل خلق الله، لأن خلق الله اختراع مبتدع .. ولا يقدر أحدنا على اختراع الأفعال في غيره على وجه من الوجوه .. » [2].

وبهذا تنحصر الولاية التكوينية به سبحانه، ونفيها عن غيره تعالى .

وجاء في تفسير كنز الدقائق : ﴿أم جعلوا لله شركاء﴾ الآية، خَلقُ اللهِ وخَلْقُهُمْ، والمعنى : أنهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق، فيقولوا : هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما يستحقها، ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلاً عما يقدر عليه الخالق، ﴿قل الله خالق كل شيء﴾ لا خالق غيره فيشاركه في العبادة، جعل الخلق موجب العبادة ولازم

١- الطباطبائي : الميزان - جـ ١١ - ص ٣٢٦ .

٢- الطوسي : التبيان - جـ ٦ - ص ٢٣٧ .

استحقاقهم، ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله، ﴿هو الواحد﴾، أي المتوحد بالألوهية [1].

يقول الطبرسي في تفسيره : «هل جعل هؤلاء الكفار لله شركاء في العبادة خلقوا أفعالاً مثل خلق الله تعالى من الأجسام والألوان والطعوم .. والقدرة والحياة وغير ذلك من الأفعال التي يختص سبحانه بالقدرة عليها، ﴿فتشابه الخلق عليهم﴾ أي فاشتبه لذلك عليهم، ما الذي خلق الله وما الذي خلق الأوثان فإذا لم يكن ذلك مشتبهاً إذ كان ذلك كله لله تعالى لم يبقَ شبهة أنه الإله، لا يستحق العبادة سواه، ﴿قل﴾ لهم ﴿الله خالق كل شيء﴾ يستحق به العبادة من أصول النعم وفروعها، ﴿وهو الواحد﴾ ومعناه أنه يستحق من الصفات ما لا يستحقه غيره، فهو قديم لذاته قادر لذاته عالم لذاته»[2].

والذي يدل على انحصار الولاية المطلقة - ولاية التكوين وولاية التشريع - في الله سبحانه، ونفيها عن غيره، ما يقوله ناصر مكارم الشيرازي في تفسير قوله تعالى : ﴿ وما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً﴾ هذا الكلام هو في الحقيقة تأكيد على الولاية المطلقة للخالق جل وعلا، إذ ليس هناك قدرة أخرى لها حق الولاية المطلقة على العالمين، ولا يوجد شريك له تعالى في ولايته، يعني ليس ثمة قدرة أخرى غير الله

١- المشهدي : كنز الدقائق - جـ ٥ - من ٩٦ .
٢- الطبرسي : مجمع البيان - جـ ٦ - ص ٣٦٨ ، ٣٦٧ .

لها حق الولاية في العالم، لا بالاستقلال، ولا بالاشتراك» [1].

ومن هنا يعلم حكم من يؤمن بأن الله فوّض للأنبياء والأئمة، ولو في آن ما أمر الولاية التكوينية أو التشريعية، مع أن القائلين بالولاية للأئمة (ع) يقصدون هذا المعنى، يقول السيد كاظم الحائري : «**وقبل أن نبحث الولاية التكوينية للأئمة (ع)، والتي تتلخص في الحقيقة، في معنى أن الله تبارك وتعالى كأنما قد فوّض للأئمة (ع) - بمستوى من مستويات التفويض - أمر إدارة العالم إليهم**» [2] .

وهناك طائفة أخرى من الآيات، تقوم بحصر المالكية المطلقة بالله سبحانه وتنفيها عن غيره، وتثبت له الحاكمية والتصرف والتدبير المطلق فيما يملك، فلا يشرك معه في التصرف فيما يملك أحداً من مخلوقاته، ولا يملكون السلطة في التصرف في ملكوته، وبهذا تنحصر الولاية التكوينية والتشريعية به تعالى. يقول تعالى : ﴿**الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدّره تقديراً، واتخذوا من دونه آلهة لا يَخلقون شيئاً وهم يُخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً**﴾ الفرقان، ٢، ٣ .

يقول الطباطبائي في تفسير الآية : «**فكونه تعالى له ملك**

١- ناصر مكارم الشيرازي : الأمثل - جـ ٩ - ص ٢١١ .

٢- السيد كاظم الحائري : الإمامة وقيادة المجتمع - ص ١١٩ .

السماوات والأرض حاكماً متصرفاً فيها على الإطلاق، يستلزم قيام الخلقة به، إذ لو قامت بغيره كان الملك لذلك الغير، وقيام الخلقة به يستلزم قيام التقدير به، لكون التقدير متفرعاً على الخلقة، وقيام التقدير به يستلزم قيام التدبير به، فله الملك والتدبير فهو الرب عز شأنه» [1]. وهكذا تنحصر الولاية والتصرف به سبحانه دون غيره. ولهذا يقول أيضاً : **«وملكه تعالى للسماوات والأرض يستلزم استناد الخلق والتقدير والتدبير إليه، فلذلك لم يكف قوله : ﴿الذي له ملك السماوات والأرض﴾ لإثبات اختصاص الربوبية به تعالى .. بل احتج إلى الإتيان بقوله تعالى ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ بيان لرجوع تدبير عامة الأمور إليه تعالى وحده بالخلق والتقدير، فهو رب العالمين لا رب سواه .. وإذ لا خالق غير الله سبحانه فلا مدبر للأمر غيره فلا رب يملك الأشياء ويدبر أمرها غيره»** [2]. إذن فأين محل الولاية التكوينية التي تنسب لغير الله سبحانه من الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم ؟. ولهذا يقول الطباطبائي أيضاً : **«فقوله تعالى : ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ ، تقرير وبيان لمعنى عموم الملك وإنه ملك متقوم بالخلق والتقدير موجب لتصديه تعالى لكل حكم وتدبير من غير أن يفوّض شيئاً من الأمر إلى أحد من الخلق»** [3]. وهذا ما سنشير إليه عند

١- الطباطبائي : الميزان - جـ ١٥ - ص ١٧٦ .
٢- نفس المصدر : ص ١٧٦ .
٣- نفس المصدر : ص ١٧٧ .

كلامنا عن أدلة انحصار الولاية التكوينية والتشريعية به سبحانه.

يقول الطبرسي: **﴿وخلق كل شيء﴾ مما يطلق عليه اسم المخلوق.. ﴿ولا يملكون موتاً ولا حياة﴾، أي لا يستطيعون إماتة ولا إحياء، ﴿ولا نشوراً﴾ ولا إعادة بعد الموت.. فإن جميع ذلك يختص الله تعالى بالقدرة عليه، والمعنى، فكيف يعبدون من لا يقدر على شيء من ذلك ويتركون ربهم الذي يملك ذلك كله** [1].

ونشير إلى طائفة أخرى من الآيات التي تحدد الولاية التكوينية والتشريعية وتحصرها في الله سبحانه، وتنفيها عن غيره، قوله تعالى: **﴿ألا له الخلق والأمر﴾** الأعراف، ٥٤. فكلام الله تعالى في هذه الآية يحدد انحصار الخلق - وهو عالم التكوين والإيجاد -، والأمر - وهو عالم التشريع ووضع القانون - في الله سبحانه، فهو وحده يمتلك السلطة والولاية في عالم الخلق، وفي عالم الأمر، أي عالم الأجسام، وعالم الأرواح، وغيره سبحانه لا يمتلك مثل هذه السلطة والولاية مطلقاً، وإلا لما صح الحصر فيه سبحانه.

يقول الطبرسي: **﴿ألا له الخلق والأمر﴾، إنما فصل بين الخلق والأمر، لأن فائدتهما مختلفة، لأنه يريد بالخلق أن له الاختراع، وبالأمر، أن له أن يأمر في خلقه بما أحب ويفعل بهم ما شاء، ﴿تبارك الله﴾ أي تعالى بالوحدانية فيما لم يزل ولا يزال ﴿رب العالمين﴾ أي خالقهم ومالكهم وسيدهم** [2]، ولهذا يقول المشهدي

١- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٧ - ص ٢١١.

٢- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٤، ص ٥٣١.

في تفسيره : ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ فإنه الموجد والمتصرف، إذ له عالم الأجسام وعالم الأرواح [1].

ويقول الطباطبائي : «وكأن المراد بالخلق ما يتعلق من الإيجاد بذوات الأشياء، وبالأمر ما يتعلق بآثارها والأوضاع الحاصلة فيها والنظام الجاري بينها.. ثم استوى على العرش، يدبر الأمر، وهو إيجاد النظام الأحسن بينها..» [2].

ويؤكد ذلك ما يقوله ناصر مكارم الشيرازي : «.. اعلموا أن خلق الكون وتدبير أموره كله بيده سبحانه دون سواه، ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ .. أن المراد من «الخلق»، هو الخلق والإيجاد الأول، والمراد من «الأمر»، هو السنن والقوانين الحاكمة على عالم الوجود بأسره بأمر الله تعالى..» [3] .

يقول محمد جواد مغنية: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ .. وفي الحديث، «من زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيئاً فقد كفر بما أنزل على أنبيائه» لقوله : ﴿ألا له الخلق والأمر﴾. ﴿تبارك الله رب العالمين﴾، تعالى بوحدانيته وملكه وتدبيره [4]. ويؤيد ذلك ما يقوله محمد السبزواري: «أي أنه الخالق المبدع الذي لا يستطيع الخلق غيرُه، وهو الآمر في خلقه، وليس لأحد أن يأمر في خلقه غيره، ﴿تبارك الله رب العالمين﴾ خالقهم ومالكهم

١- المشهدي : كنز الدقائق - جـ ٣ - ص ٥١١ .

٢- الطباطبائي : الميزان - جـ ٨ - ص ١٥٢، ١٥٣ .

٣- ناصر مكارم الشيرازي : الأمثل - جـ ٥ - ص ٧٠، ٧١ .

٤- محمد جواد مغنية : التفسير الكاشف - جـ ٨، انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٥٤ .

والمتصرف بامورهم، [1] .

هذه جملة من الآيات التي تحدد الولاية التكوينية والتشريعية وتحصرها في الله سبحانه، وتنفيها عن غيره، أما لو حاولنا أن نذكر كل آية لها علاقة في موضوع بحثنا، لخرجنا عن الغاية التي وضعنا من أجلها هذا المختصر في معنى الولاية. ولكن الذي يؤسف له، أن هناك من يحاول أن يجعل الولاية التكوينية من حق الأنبياء والأئمة (ع)، كما هي من حق الله سبحانه، فكما يحق لله سبحانه أن يتصرف في عالم الكون من الخلق والإحياء والإماتة وغيرها من الأفعال التي لا يقدر عليها غيره، كذلك يحق للأنبياء والأئمة (ع) أن يتصرفوا في ذلك، فلهم الولاية في الخلق والإحياء والإماتة وغير ذلك، معتمدين على بعض الآيات القرآنية التي لم تنهض دليلاً على مدعاهم، كما سنوضحه إن شاء الله عند الكلام عن الأدلة من القرآن .

١- محمد السبزواري : الجديد في تفسير القرآن المجيد - جـ ٣ - ص ١٥٢ .

جملة من أقوال العلماء في الولاية التكوينية والتشريعية

أما الولاية التكوينية والولاية التشريعية، فهي من شؤون الواجب المطلق جل وعلا، لا يشاركه في ذلك أحد من مخلوقاته. وهذا ما اتفقت عليه كلمة الموحدين - إلا من شذ منهم - قال تعالى : **﴿ألا له الخلق والأمر﴾**. فالخلق هو عالم التكوين المعبر عنه «بكن فيكون» والأمر هو عالم التشريع والتقنين، وكل منهما منحصر به سبحانه، لأنه سبحانه هو الموجد والمتصرف في عالم الأجسام وعالم الأرواح. يقول ناصر مكارم الشيرازي : **«إن معنى ﴿إن الحكم إلا لله﴾ واضح، أي أن كل أمر في عالم الخلق والتكوين، وفي عالم الأحكام والتشريع بيد الله، وبناء على ذلك إذا كان لرسول الله (ص) أن يقوم بمهمة، فذلك أيضاً بأمر من الله»** [1].

ويقول الشيخ محمد السبزواري في تفسير قوله تعالى : **﴿ألا له الحكم﴾**، **«يعني ليس لغيره من حكم بمصائرهم، والحكم محصور به سبحانه وتعالى، وإن قيل كيف يكون مولى جميع الخلائق وقد قال في مورد آخر : وأن الكافرين لا مولى لهم ؟ قلنا : المولى الأول بمعنى الخالق المالك المعبود، والمولى الثاني بمعنى الناصر»** [2]. وفي ذلك يقول السيد الطباطبائي في

١- ناصر مكارم الشيرازي : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - جـ ٤ - ص ٢٨٩ .

٢- محمد السبزواري : الجديد في تفسير القرآن - جـ ٣ - ص ٤١ .

تفسير الآية : «لما بيّن تعالى اختصاصه بمفاتح الغيب، وعلمه بالكتاب المبين الذي فيه كل شيء، وتدبيره لأمر خلقه من لدن وجدوا إلى أن يرجعوا إليه، تبين أن الحكم إليه لا إلى غيره»[1].

هذا وقد تضافرت الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية واتفاق المسلمين، على أن الولاية التكوينية والتشريعية منحصرة في الله سبحانه، لا يشاركه فيها أحد من مخلوقاته، نشير إلى جملة من أقوال العلماء التي تثبت الولاية لله وحده، وتنفيها عن غيره سبحانه.

١- يقول الشيخ السبحاني : «اتفقت كلمة الموحدين على أن الاعتقاد بالتفويض موجب للشرك، وأن الخضوع النابع من ذلك الاعتقاد يعد عبادة للمخضوع له، والتفويض يتصور في أمرين : تفويض الله تدبير العالم إلى خيار عباده من الملائكة والأنبياء والأولياء، ويسمى بالتفويض التكويني.

تفويض الشؤون الإلهية إلى عباده، كالتقنين والتشريع والمغفرة والشفاعة، مما يعد من شؤونه سبحانه، ويسمى بالتفويض التشريعي.

أما القسم الأول : فلا إشكال أنه موجب للشرك، فلو اعتقد أحد بأن الله فوض أمور العالم وتدبيرها من الخلق والرزق والإماتة ونزول الثلج والمطر، وغير ذلك من حوادث العالم إلى ملائكته أو صالحي عباده، فقد جعلهم أنداداً له سبحانه .

١- الطباطبائي : الميزان - جـ ٧ - ص ١٧١ .

وأما التفويض في الأحكام الشرعية : هو الاعتقاد بأن الله سبحانه فوض إلى أحد مخلوقاته بعض شؤونه، كالتقنين والتشريع، والشفاعة والمغفرة، فلا ريب أنه شرك بالله واتخاذ ند له كما يقول سبحانه : ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾ [1].

ويقول أيضاً : «لا مناص من القول بأن التقنين والتشريع الذي هو نوع تدبير لحياة الفرد والمجتمع مختص بالله سبحانه وليس لأحد ذلك الحق .. ولا مشرع إلا الله وحده» [2].

ويقول أيضاً : «إن حق التشريع على العباد من شؤون الربوبية، فمن أعطى زمام التشريع إلى غيره سبحانه، فقد اتخذه رباً ولو في بعض الشؤون لا كلها» [3].

ويقول جعفر السبحاني أيضاً : «إن التفويض يفسر بوجوه : الأول : تفويض خلقة العالم إلى النبي (ص) والأئمة (ع) ، وأنهم هم الخالقون والرازقون والمدبرون للعالم، وغير خفي أن التفويض بهذا المعنى شرك على وجه، وباطل على وجه آخر.. ولو زعموا أن النبي والأئمة من جملة الأسباب لخلق العالم وتدبيره، وأن الفاعل الحقيقي والسبب الواقعي هو الله سبحانه وهو لم يعتزل بعد وإنما جعلهم في مرتبة الأسباب والعلل، فهذا القول وإن كان لا يوجب الشرك، لكنه غير صحيح، فإن النبي (ص)

١- جعفر السبحاني : الإلهيات - ط ٢ - جـ ١ - ص ٤٣٩ .
٢- نفس المصدر : ط ١ - جـ ١ - ص ٤٢٥ .
٣- نفس المصدر : ص ٥٢٧ .

والأئمة (ع) ليسوا من أسباب الخلقة، بل هم (ع) يستفيدون من تلك الأسباب الطبيعية وتتوقف حياتهم على وجود العلل والأسباب المادية.. فليس النبي والإمام من أسباب الخلق والتدبير، وإنما هم وسائط بين الخالق والخلق في إبلاغ الأحكام وإرشاد العباد وسائر الفيوضات المعنوية من الهداية الظاهرية والباطنية.. الثاني : تفويض الحلال والحرام إليهم، أي فوض إليهم أن يحللوا ما شاؤوا ويحرموا أيضاً ما شاؤوا، وهذا أيضاً ضروري البطلان، فإن النبي ليس شارعاً للأحكام، بل مبين وناقل له، وليس شأنه في المقام إلا شأن ناقل الفتيا بالنسبة إلى المقلدين.. فلم يكن له إلا تحليل ما أحل الله أو تحريم ما حرم الله»[1]. وهكذا تكون الولاية التكوينية والتشريعية منحصرة في الله سبحانه.

٢- يقول السيد الطباطبائي : «وقد ذكر سبحانه لنفسه من الولاية، الولاية التكوينية التي تصحح له التصرف في كل شيء وتدبير أمر الخلق بما شاء وكيف شاء.. وذكر تعالى أيضاً لنفسه الولاية على المؤمنين فيما يرجع إلى أمر دينهم من تشريع الشريعة والهداية والإرشاد والتوفيق ونحو ذلك. فهذا ما ذكره الله من ولاية نفسه في كلامه، ويرجع محصلها إلى ولاية التكوين وولاية التشريع»[2].

١- جعفر السبحاني : كليات في علم الرجال - ص ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٥ .
٢- الطباطبائي : الميزان - جـ ٦ - ص ١٣، ١٤ .

ويقول أيضاً : «إن ولاية الربوبية تتعلق بنظام التكوين بتدبير الأمور وتنظيم الأسباب والمسببات بحيث يتعين بها للمخلوق المدبر كالإنسان مثلاً ما قدر له من الوجود والبقاء، وتتعلق بنظام التشريع، وهو تدبير أعمال الإنسان بجعل قوانين وأحكام يراعيها الإنسان بتطبيق أعماله عليها.. ولازم اتخاذه تعالى رباً ولياً من جهة التكوين إرجاع أمر التدبير إليه.. ومن جهة التشريع الرجوع إلى حكمه في كل واقعة يستقبله الإنسان في مسير حياته» [1].

ويقول أيضاً : «﴿ وله الحكم وإليه ترجعون﴾.. وهو سبحانه مالك في مرحلة التشريع والاعتبار، كما أنه مالك في مرحلة التكوين والحقيقة، ومن آثار ملكه أن يقضي على عبيده ومملوكيه أن لا يعبدوا إلا إياه» [2].

ويقول السيد الطباطبائي أيضاً : «ويؤيد، بل يدل عليه الآيات الدالة على قصر الحكم وانحصار التشريع فيه وعموم قضائه لكل شيء، إذ لولا سعة ملكه وعموم سلطته لكل شيء لم يستقم حكمه في كل شيء، ولا قضاؤه عند كل واقعة.. على أن هذا الملك الذي نثبته له تعالى، وهو ملك تشريعي، هو كونه تعالى بحيث ينتهي إليه وجود كل شيء، وإن شئت فقل : كون كل شيء بحيث يقوم وجوده به تعالى، وهذا هو الملك التكويني الذي لا يخلو شيء من الأشياء من أن يكون مشمولاً له، مع ذلك كيف يمكن

١- نفس المصدر : جـ ١٨ - ص ٢٥ .
٢- نفس المصدر : جـ ١٦ - ص ٧٠ .

تحقق الملك التكويني في شيء من غير أن ينبعث منه ملك تشريعي وحق مجعول، اللهم إلا أن يكون من العناوين العدمية التي لا يتعلق بها الإيجاد.. ويتفرع على هذا.. أنه لا معنى لأن يوجب غيره تعالى عليه أو يحرم أو يجوز» [1] .

٣- يقول السيد أبو القاسم الخوئي في مسألة : «لا إشكال في نجاسة الغلاة».. «ومنهم من ينسب إليه الاعتراف بالإلهية سبحانه، إلا أنه يعتقد أن الأمور الراجعة إلى التشريع والتكوين كلها بيد أمير المؤمنين أو أحدهم (ع).. واعتقادهم هذا وإن كان باطلاً واقعاً وعلى خلاف الواقع حقاً، حيث إن الكتاب العزيز يدل على أن الأمور الراجعة إلى التكوين والتشريع كلها بيد الله سبحانه... وعليه فهذا الاعتقاد إنكار للضروري، فإن الأمور الراجعة إلى التكوين والتشريع مختصة بذات الواجب تعالى، فيتبين كفر هذه الطائفة على ما قدمناه من إنكار الضروري» [2]

٤- يقول السيد عبد الأعلى السبزواري : «وهذه الولاية، ولاية الرعاية والصلاح والعطف والحنان، أي أن الله تعالى المدبر للمؤمنين يقوم بتدبيرهم بما هو الأصلح لهم، وهي غير الولاية التكوينية التي له تعالى على جميع ما سواه.. وقد أضاف جلت عظمته تلك الولاية إلى ذاته الأقدس، وهذه الإضافة تشريعية من أكمل أنحاء الحقائق» [3].

١- نفس المصدر : جـ ١٤ - ص ٩٥ .

٢- التنقيح : تقرير السيد الخوئي - جـ ٢ - ص ٧٣، ٧٤ .

٣- عبد الأعلى السبزواري : مواهب الرحمن - جـ ٤ - ص ٢٩٤ .

ويقول أيضاً : «والعهود الإلهية وإن كانت تعد من الأمور التشريعية، لكن كل تشريع له دخل في نظام التكوين، لأن جميع جهات التشريع ترجع إلى تربية الإنسان الذي هو المقصد الأقصى من نظام التكوين، فيرجع التشريع إليه سبحانه» [1].

ويقول أيضاً : «لأن كلام النبي (ص) في جهات التشريع وتربية أمته نفس كلام المتنبأ عنه، وإلا لُغِيَ التشريع المبني على النبوة الإلهية، فقد ورد في حق نبينا الأعظم (ص) : ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾، وهذا الحكم يجري في جميع أنبياء الله تعالى كل في أمته ومورد نبوته» [2].

ويقول أيضاً : «إن التشريع.. لا بد أن يستند إلى الله تعالى رب السماوات والأرض، وإلا فلا يكون التشريع جامعاً أو نظاماً إنسانياً فإذا كان حدوث التشريع من قبل الله تعالى على ألسنة الأنبياء الحافظين للشريعة والعالمين بها.. ومما ذكرنا يظهر أن هذا الجعل تكويني تشريعي، فتكوينه يكون دخيلاً في تشريعه، وإن تشريعه له دخل في تكوينه» [3] .

٥- يقول الشيخ جوادي آملي : «وفي القرآن الكريم توضح العبارة ﴿إن الحكم إلا لله﴾، إن الولاية في جميع أمورها التشريعية والتكوينية منحصرة بالله تبارك وتعالى» [4].

ويقول أيضاً : « لأن النبي إذا حصل على حق التقنين، فهو

١- نفس المصدر : جـ ١ - ص ٢٠٥ .

٢- نفس المصدر : ص ٢٣٩، ٢٤٠ .

٣- نفس المصدر : جـ ٢ - ص ٢٠، ٢١ .

٤- جوادي آملي : ولاية الفقيه والقيادة في الإسلام - ص ٣٩ .

ليس بمعنى أن التقنين يكون صادراً منه، بل معناه أنه يستلم هذه القوانين بالوحي الإلهي والإلهام ويبلغها، لكن هذا الاستلام يظهر أحياناً بصورة قرآن وأحياناً بصورة حديث قدسي.. إذن فحدود الولاية بمعنى الحكومة تنحصر في التنفيذ وليس في أصل التقنين، لأن التقنين هو الولاية التشريعية التي تختص بالله تعالى ويرجع إبلاغها إلى الرسالة» [1].

ويقول أيضاً : «بعد الالتفات إلى المقدمات والأصول، يتضح أن الله سبحانه يمتلك ولاية تكوينية وتشريعية معاً.. فالله تعالى يدير الكون بإعمال الولاية.. والله وحده هو الذي يمتلك حق جعل القانون، وهو الذي يبلغ الأحكام المجعولة للناس عن طريق النبي.. على أن النبي يجب أن يسمع الأحكام الإلهية المجعولة ويبلغها للناس» [2].

ويقول أيضاً : «إذا كان الله وحده هو المطلع على سر الإنسان وعلنه، فهو وحده القادر على محاسبته ومطالبته، وإذا كان هو الوحيد القادر على محاسبة الإنسان، فهو الوحيد الذي سيكون قادراً على وضع القوانين لتربيته، بناء على هذا فلن تكون الولاية التشريعية لأحد غير الله، إذ أنه في بُعد التكوين أيضاً هو وحده المثيب والمعاقب.. هنا ينتهي بيان بعض الأدلة التي تنفي الولاية، بمعنى الإدارة في التكوين أو في التشريع عن غير

١- نفس المصدر : ص ٥٩، ٦٠ .

٢- جوادي آملي : ولاية الإنسان في القرآن - ص ١٨٤ .

الله وتحصرها فيه تعالى. وذلك إما بشكل مباشر أو عن طريق الآيات المتعلقة بالحكومة أو الربوبية أو الهداية»[1].

ويقول جوادي آملي أيضاً: «تكون الولاية تارة في نظام التكوين، بحيث يكون الأول ولياً تكوينياً، مثل الذات الإلهية المقدسة التي لها الولاية على البشر والكون.. الضرب الآخر من الولاية، وهو ولاية التشريع والقانون»[2].

ويقول أيضاً: «يذكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أهل البيت (ع) بأنهم يتحلون بخصائص الولاية، ولكن ليس الولاية التكوينية التي هي مقام عيني لم ينصب في الغدير ولم يغصب في السقيفة، بل هذا المقام غير قابل للنصب والغصب أساساً.. وذكر فيها الإمام أن له حق الولاية، بيد أن ذلك لم يعنِ أني قيّم عليكم وأنتم «الأمة» محجورون، بل جاء بمعنى الحكومة وإدارة شؤون الأمة»[3]. «إذن الولاية بمعنى الإدارة والتدبير هي أولاً وبالذات لله، لا فرق بين أن تكون في نظام التكوين أو نظام التشريع، يقول تعالى: ﴿والله هو الولي﴾، وفي سورة الرعد يقول أيضاً ﴿وما لهم من دونه من وال﴾، إن الولاية التكوينية تختص بالذات الإلهية المقدسة، وهو القائل عز شأنه، أن لا أحد بمقدوره أن يرفع العذاب إلا الله، ولما كان الوالي التكويني حقيقة هو الله ﴿والله هو الولي﴾ فإن في ذلك حصراً للولاء المطلق في الذات

١- نفس المصدر: ص ٢١٢، ٢١٧.
٢- جوادي آملي: جولة في مباني ولاية الفقيه - ص ١٣.
٣- نفس المصدر: ص ٢٤، ٣٥.

الإلهية المقدسة تكويناً وتشريعاً، ﴿إن الحكم إلا لله﴾ »[1] .

يقول جوادي آملي أيضاً : ﴿الا لله الدين الخالص﴾. وصف الدين بالخلوص يدل على أنه في جميع أمور الدين لا مجال لغير الله، والدين هو ذلك الذي يكون خالصاً.. ﴿وله الدين واصباً﴾. جميع الدين في تصرف الله بشكل كامل. فهو الذي يجب أن يشرع جميع القوانين الدينية الأعم من الواجبات والمستحبات من العبادات والمعاملات وغير ذلك، وعندما يكون الكلام عن كيفية إثبات الأوامر الدينية يقول : ﴿الا لله الدين الخالص﴾ [2].

ومما يؤكد انحصار الولاية التكوينية والتشريعية بالله سبحانه، ونفيها عن غيره، ما يقوله جوادي آملي أيضاً : «أنه من الممكن أن يظن أنه إذا صار الإنسان ولياً لله، فالله سبحانه يعهد إليه بعمل أو أعمال من عالم الخلق مما كان هو تعالى يتولاها بشكل يعمل فيه ولي الله من رأسه وبشكل مستقل «تفويض».. لكن سواء تفويض العمل لأولياء الله، فهو عقلاً ونقلاً مستحيل، أو توكيل أعداء الله، فكذلك سيكون مستحيلاً. ويمكن إقامة برهانين على هذا المطلب :

البرهان الأول : هو أنه حيث إن ربوبية الله غير محدودة فلا إمكانية لتقطيعها بشكل تفوّض فيه الأمور في إحدى زوايا العالم لوجود آخر - سواء في الأمور التكوينية أو التشريعية -

---

١- نفس المصدر : ص ٣٠ .

٢- جوادي آملي : ولاية الإنسان في القرآن - ص ١٢٢ .

ولا يكون للرب المطلق دور في أصل حدوثها أو استمرار بقائها. فإذاً تفويض عمل الله في التكوين والتشريع للملائكة أو الأنبياء أو الأولياء مستحيل.. والحد الوسط لهذا البرهان هو أن الربوبية اللامحدودة ليست قابلة للتقطيع.

البرهان الثاني : هو أن الفقر مقوّم لذات الموجودات الإمكانية، والشيء الفقير ذاتاً لا يمكن تركه بحاله إذ أنه في هذه الصورة يصير معدوماً صرفاً، ولا يمكن إرجاع أعمال الآخرين إليه، إذ أنه بحاجة إلى قيم في أعماله فضلاً عن أعمال الآخرين. فإذاً الحد الأوسط للبرهان الثاني هو الفقر الذاتي للموجودات الإمكانية.

والنتيجة أنه بناء على هذين البرهانين لا تفويض العمل للأنبياء والأولياء والملائكة معقول» [1]. ولهذا تنحصر الولاية التكوينية والتشريعية بالله سبحانه. وتنتفي عن غيره من الأنبياء والأوصياء والملائكة (ع) .

٦- يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي : «**إن معنى ﴿إن الحكم إلا لله﴾ واضح، أي أن كل أمر في عالم الخلق والتكوين وفي عالم الأحكام والتشريع بيد الله، وبناء على ذلك، إذا كان لرسول الله (ص) أن يقوم بمهمة، فذلك أيضاً بأمر من الله**» [2].

٧- يقول السيد علي الحسيني الخامنئي : «**إن الخالقية والسيطرة التكوينية لله تستلزم أن يكون زمام التشريع بيده**

١- نفس المصدر : في ١٧١، ١٧٢ .

٢- ناصر مكارم الشيرازي : الأمثل - جـ ٤ - ص ٢٩١ .

وحده والجميع ملزم باتباع شرعه».

ويقول أيضاً : «إن علم الله المطلق يستلزم أن تكون صلاحية تنظيم القوانين الإنسانية التي تضمن مصالحهم بيده وحده» [1].

ويقول أيضاً : «فمن المعروف أن جميع الأديان الإلهية كانت تدعو إلى حكومة الله، وكان كل الأنبياء وأوصياؤهم يدعون الناس إلى حكومة تكون فيها الحاكمية وحق التشريع لله» [2].

٨- يقول الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي : «ويمكن تقسيم الأمور المرتبطة بالربوبية إلى مجموعتين : الربوبية التكوينية التي تشمل تدبير الأمور لكل الموجودات وتوفير احتياجاتها، وبكلمة واحدة «تدبير العالم»، والربوبية التشريعية.. وتشمل عدة مسائل: أمثال بعث الأنبياء وإرسال الكتب السماوية وتعيين الوظائف والتكاليف ووضع الأحكام والقوانين، إذن فالربوبية الإلهية المطلقة تعني أن المخلوقات في كل شؤونها الوجودية مرتبطة بالله تعالى» [3].

٩- يقول الشيخ محمد تقي الفلسفي : «وهناك نقطة نود الإشارة إليها في هذا المجال، وهي أن تدبير وإدارة شؤون النظام الكوني هو بيد الله، وهو المالك الحقيقي لكافة العوالم الوجودية»، ويقول أيضاً: «إن تدبير وإدارة شؤون كل ما هو موجود في عالم الخلقة هو من اختصاص الله تعالى لأنه هو المالك

١- الخامنئي : الخطوط العامة للفكر الإسلامي في القرآن - ص ٣١، ٣٢ .

٢- علي الحسيني الخامنئي : الحكومة في الإسلام - جـ ١ - ص ٤٨ .

٣- محمد تقي مصباح اليزدي : دروس في العقيدة الإسلامية - جـ ١ - ص ١٠٦ .

الحقيقي للخلق بأجمعه»[1] .

١٠- يقول علي المؤمن : «السيادة والحاكمية في المفهوم الإسلامي هي لله تعالى بالمطلق، ويصطلح عليها عقائدياً، الولاية، وهي على قسمين : تكوينية، وتتجسد في سيادة الله تعالى وولايته على الإنسان وعمله، وتتجلى في التشريع، وينفذها الإنسان من خلال ولايته النسبية على عمله ومصيره»[2] .

ويقول أيضاً : «التشريع في الحكومة الإسلامية ليس تشريعاً بالمعنى الوضعي المتداول، ولا هو تقنين بالمطلق. فالتقنين في الحكومة الإسلامية مقيّد بقوانين الإسلام وموازينه المستخرجة من القرآن الكريم والسنة الشريفة، فهما مرجعية التقنين في النظام الإسلامي. فالله تعالى.. وفق ولايته التشريعية، هو المشرع فقط.. فالنبي (ص) والأئمة (ع) منفّذون لهذه القوانين»[3] .

١١- يقول الشيخ يوسف صانعي : «لا يحق لأي أحد أن يقرر ويقنن في مقابل ما يقضي به الله تعالى ورسوله (ص)، ومن المعلوم أن قضاء رسول الله (ص) غير مسألة وضع القانون، لأن الرسول (ص) ليس له حق في أن يضع القانون، لأن هذا الحق مختص بالله تعالى وحده، أما النبي (ص) فهو مبلّغ عن الله

١- محمد تقي الفلسفي : المعاد بين الروح والجسد - جـ ١ - ص ٨٠، ٨١

٢- علي المؤمن : النظام السياسي الإسلامي - ص ١٢١ .

٣- نفس المصدر : ص ١٢٢ .

تعالى، فهو يتلقى القانون ويوصله إلى الناس» [1] .

ويقول أيضاً : «إن الإنسان المؤمن الموحّد.. يعتقد أنه ليس لأحد الحق في وضع القانون وإعطاء الأوامر وله حق الطاعة على الإنسان إلا الله عز وجل.. فإذا عرف الإنسان الله - كما يعرفه الإلهيون - لم يكن له بد من إعطاء حق التشريع لله تعالى وحصره فيه دون سواه، ويرى أن الله سبحانه هو صاحب الحق في وضع القانون.. إذن يرى الإنسان الموحّد أن المشرع والمقنن هو الله..» [2] .

ويقول أيضاً : «إن الآيات القرآنية لم تصرح بأن من حق أولي الأمر (ع) وضع القانون، بل أكدت أن مهمتهم هي تطبيق القانون النازل من الله سبحانه.. فمن لم يحكم بالقانون الذي جاء من قبل الله تعالى فهو كافر وظالم وفاسق، وهذه مادة قانونية للجميع، وليس هناك فرق بين السلطة التنفيذية التي عُينت من قبل الله أو الآخرين، لأنه يجب أن يحكم بالقانون الذي نزل من قبل الله تعالى..» [3] .

ويقول أيضاً : «إن الله تعالى.. يخاطب رسوله الكريم (ص) رسمياً ويقول له، يجب أن تتبع الوحي لا إرادتك النفسية» ، فـ «إطاعة الرسول هي إطاعة الله تعالى، لأن الرسول إنما يعمل على طبق التشريع الذي يستمده من الله سبحانه» [4].

١- يوسف صانعي : الولاية - ص ٣٢ .
٢- نفس المصدر : ص ٤٢، ٤٤ .
٣- نفس المصدر : ص ٤٦، ٤٧ .
٤- نفس المصدر : ص ٤٨ .

١٢- يقول السيد روح الله الموسوي الخميني : «تنحصر سلطة التشريع بالله عز وجل وليس لأحد أياً كان أن يشرّع، وليس لأحد أن يحكم بما لم ينزل الله به من سلطان.. فحكومة الإسلام حكومة القانون والحاكم هو الله وحده وهو المشرع وحده لا سواه» و«كل الأفراد، الرسول وخلفاؤه وسائر الناس، يتبعون ما شرّعه لهم الإسلام الذي ينزل به الوحي ويبينه الله في القرآن أو على لسان الرسول (ص)» [١] .

ويقول أيضاً : «.. فالحاجة إلى الخليفة إنما هي من أجل تنفيذ القوانين..» و«النبي (ص) منفذ قانون..» و«الخليفة ليس مبلغ قوانين أو مشرعاً، إنما الخليفة يُراد للتنفيذ» [٢] .

١٣- يقول السيد كاظم الحائري : «والإسلام.. يجعل الله هو المشرّع وهو الحاكم الحقيقي والمخطط لمسيرة الأمة وحده لا شريك له في العبودية والتشريع كما لا شريك له في الذات»، ويقول أيضاً : «إن المسلم يعتقد أن الله الخالق الحكيم العليم هو الأعلم بمصالح الإنسان وأسلوب إشباع احتياجاته.. لأنه خالق العالم والمجتمع والإنسان.. وعليه فلا معنى لتسليم أمور التشريع والتقنين.. بيد الناس.. مع وجود الخالق العظيم الحكيم» [٣]. ويقول أيضاً : «ومبدأ الولاية عند المسلمين هو الله تعالى خالق كل شيء ومبدعه وهو المولى الحقيقي» [٤] .

١- روح الله الخميني : الحكومة الإسلامية - ص ٤١، ٤٢ .
٢- نفس المصدر : ص ١٩ .
٣- كاظم الحائري : أساس الحكومة الإسلامية - ص ٣٨، ٦٠ .
٤- نفس المصدر : ص ١٢٣ .

١٤- يقول الشيخ الصافي الكلبايكاني : «**فتلخص من كل ذلك انحصار مورد ولايتهما - أي النبي والإمام - بصورة لا تكون تشريعا، بل ولايتهما محدودة بحدود حدّها الله تعالى شأنه.. فتكون ولايتهما في حدود الإسلام وما نزل من الله تعالى من أحكامه وحلاله وحرامه ولا يجوز لهما التشريع..**» [١] .

ويقول أيضاً: «**فالنتيجة هو أنه ليست الولاية الثابتة للنبي (ص) والأئمة (ع)، إلا في محدودية الدين والأحكام.. وكل ما صدر منهم هو حكم الله الذي علمهم الله.. فما يأتي بالنظر هو ولاية النبي (ص) والأئمة (ع) وأولويتهم على المؤمنين من أنفسهم في خصوص ما حلّله الله وحرّمه.. وأما أزيد من ذلك بحيث أن يكون لهم حق التشريع فلم نجد دليلاً عليه من النقل ويحكم على خلافه العقل، فافهم**» [٢] .

١٥- يقول محمد جواد مغنية في تفسير قوله تعالى: ﴿**لتحكم بين الناس بما أراك الله**﴾ : «**وهذه الآية رد وإبطال لقول القائلين بأن النبي (ص) يحكم في بعض المسائل باجتهاده، لأنها صريحة واضحة في أنه لا يحكم إلا بوحي من الله.. هذا إلى أن الأمر بالواجب والنهي عن المحرّم كثيراً ما يوجهان من الله إلى الأنبياء لمجرد الإعلام بالحكم**» [٣] .

ويقول أيضاً : «**الرسول ناقل عن الله لا مشرع، تماماً كراوي**

١- علي الصافي الكلبايكاني : الدلالة إلى من له الولاية - ص ٥٠، ٥٣ .
٢- نفس المصدر : ص ٥٤ .
٣- محمد جواد مغنية : التفسير الكاشف - المجلد الثاني - ص ٤٣٠ .

الحديث عن الرسول، وقد جاء في الحديث عنه (ص) انه قال: «من كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار»، فكيف يكذب هو على الله ؟ حاشا لصاحب العصمة عن الخطأ والزلل.. وفي الآية تعريض بمن يفتي ويحكم بغير دليل من الشرع، وفيها أيضاً الدليل القاطع على أن النبي (ص) ما حكم قط باجتهاده وأن جميع أحكامه كانت بوحي من الله، وأن من أجاز الاجتهاد عليه فقد قاسه بغيره من الفقهاء» [1].

١٦- يقول الميرزا علي الحائري : «أَوَلَيْسَ من المحقق عند جميع المسلمين والثابت المسلّم لدى الإمامية أن هذه الشريعة المحمدية متلقاة بالوحي الخاص من الملك العلاّم، ليس فيه شيء من وضع النبي (ص) وجعله أبداً، بل لا يمكن لبشر أن يأتي بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وأمهاتها صادرة من القرآن الكريم، كالصلاة والزكاة والصوم والحج والمواريث والآيات والمعاملات والأخلاق وغير ذلك، والقرآن كله معجز نزل به الروح الأمين، وقد قال تعالى : ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ [2] .

ويقول أيضاً : «إن الشرع كله من الله تعالى بالوحي الخاص، ليس فيه من النبي (ص) شيء، ﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾، إليه، وهذا هو الحق الصحيح والصواب الصريح الذي عليه جميع المسلمين وجملة الموحدين، لا ريب فيه ولا شبهة تعتريه» [3] .

١- نفس المصدر : المجلد الرابع - ص ١٤٢ .

٢- ميرزا علي الحائري : عقيدة الشيعة - ص ١٧ .

٣- نفس المصدر : ص ١٩ .

١٧- يقول الشيخ البلاغي في تفسير قوله تعالى: **﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور﴾** آل عمران، ١٠٦ : **«لأنه إله العالم ومدبره وخالقه، وكل ما عداه محتاج إليه في ذاته وأموره، فكل أمر من شؤون العالم يرجع إليه، وكرر اسم الجلالة للإيماء إلى وجه رجوع الأمور إليه لما في اسمه المقدس من معنى الإلهية والسلطان العام»**[1] .

ومجمل ما تقدم، أن الولاية التكوينية والتشريعية وحق التصرف في شؤون العالم من اختصاصه سبحانه، فبالإضافة إلى ما تقدم من أقوال العلماء، فسوف يأتي المزيد من الأدلة الدالة على أن التكوين والتشريع منحصر بالله سبحانه، وذلك عند الكلام عن أدلة انحصار الولاية التكوينية والتشريعية في الله سبحانه، بالإضافة إلى ما سوف نذكره عن المعجزة، وأقوال العلماء في معنى المعجز، لتتضح الرؤية، من أن المعجز من فعل الله وصنعه لا يشاركه في ذلك أحد من مخلوقاته، فما يظهر على أيدي الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم، هو من فعل الله، ولا صنع لهم فيه كما سنوضحه إن شاء الله.

١- الشيخ البلاغي : آلاء الرحمن - جـ ١ - ص ٣٢٧ .

المعجزة من فعل الله سبحانه يجريها على أيدي أنبيائه

ظهر لنا من العرض السابق لآراء العلماء في الولاية التكوينية والتشريعية أن الولاية التكوينية وحق التصرف في شؤون العالم من اختصاصه سبحانه، بقي علينا أن نعرض أقوال العلماء في معنى المعجز، لعلاقة المعجزة بالولاية التكوينية له سبحانه، وأنها - أي المعجزة - من فعل الله تعالى يجريها على أيدي رسله وأنبيائه (ع)، لا صنع لهم فيها، لأنها خارجة عن حدود القدرة البشرية، وهي دليل على نفي الولاية التكوينية عن غير الله وحصرها فيه سبحانه، فالذي لا يقدر على مثل هذه المعاجز الخارقة للعادة وللنواميس الطبيعية، ليست له القدرة على التصرف في شؤون الواجب الخاصة به تعالى، كالخلق مثلاً، وهو إيجاد شيء من لا شيء، أو إيجاد شيء من شيء على وجه الاختراع والإبداع. كقلب العصا حية، يقول الطبرسي قدس سره: **«الخلق هو الإحداث للشيء على تقدير من غير احتذاء على مثال، ولذلك لا يجوز إطلاقه إلا في صفات الله سبحانه، لأنه لا أحد سوى الله يكون جميع أفعاله على ترتيب من غير احتذاء على مثال..»** [1] . ولهذا فالخلق الذي هو إيجاد شيء من لا شيء، يكون معناه الاختراع، كقوله تعالى: **﴿إن في خلق السماوات والأرض﴾، أي في إنشائهما مقدرين على سبيل الاختراع** [2] .

١- الطبرسي : مجمع البيان - جـ ١ - ص ٣١٥ .

٢- نفس المصدر : ص ٣١٧ .

وجاء في تفسير التبيان للشيخ الطوسي قدس سره : **﴿إن في خلق السماوات والأرض﴾، يدل على أن لها خالقاً لا يشبهها ولا تشبهه، لأنه لا يقدر على خلق الأجسام إلا القديم القادر لنفسه الذي ليس بجسم ولا عرض، إذ جميع ذلك مُحدَثٌ ولا بدّ له من مُحدِث، لاستحالة التسلسل** [1].

ويقول الطبرسي : **«فإن أكثر أصحابنا لا يطلقون على غيره سبحانه أنه يخلق أصلاً، فضلاً عن أن يقولوا إنه يخلق كخلق الله، ولكن يقولون إن العباد يفعلون ويحدثون، ومعنى الخلق عندهم الاختراع، ولا يقدر العباد عليه، ومن جوّز منهم إطلاق لفظ الخلق في أفعال العباد، فإنه يقول إنه سبحانه إنما نفى أن يكون أحد يخلق مثل خلقه، ونحن لا نقول ذلك، لأن خلق الله اختراع وإبداع، وأفعال غيره مفعولة في محل القدرة عليها.. ولا يقدر على اختراع الأفعال في الغير على وجه من الوجوه إلا الله سبحانه الذي أبدع السماوات والأرض وما فيهما، وينشيء الأجناس من الأعراض التي لا يقدر عليها غيره.. فعلمنا أن المراد بقوله : ﴿خالق كل شيء﴾ ما قدمناه من أنه خالق كل شيء يستحق لخلقه العبادة،** [2] .

ويستفاد من ذلك عدة أمور :

الأول : أن الخلق، معناه الاختراع والإبداع، وهو منحصر بالله

١- الطوسي : التبيان - جـ ٢ - ص ٥٥ .
٢- الطبرسي : مجمع البيان - جـ ٦ .. ص ٢٦٩ .

سبحانه، وليس لغيره أيّاً كان القدرة على الاختراع، لأنها من صفات الواجب سبحانه، وغيره ممكن.

الثاني : ما قيل أو يقال في معجزات الأنبياء (ع)، أنها من فعلهم وصنعهم، مخالف لما تقدم من معنى الخلق، والخلق الذي هو بمعنى الإيجاد والاختراع، خارج عن حدود القدرة البشرية، وأن الأنبياء (ع) بشر، وفي ذلك يقول الشيخ الكراجكي قدس سره: «**وانه سبحانه أظهر على أيديهم الآيات، وأعلمهم كثيراً من الغائبات.. والآيات التي تظهر على أيديهم هي فعل الله دونهم أكرمهم بها ولا صنع لهم فيها، وأنهم (ع) بشر محدثون، وعباد مصنوعون، لا يخلقون ولا يرزقون..**» [1] .

الثالث : انحصار الولاية التكوينية بالله سبحانه، لأن المقصود من الولاية، إن كان هو التصرف في عالم الملكوت والكون والخلق والإيجاد والإحياء.. فهو من مختصاته سبحانه، لا يشاركه أحد في سلطانه وملكه. ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿**هو الله الخالق البارىء المصوّر**﴾، يقول الفيض الكاشاني قدس سره : «**كل ما يخرج من العدم إلى الوجود فيفتقر إلى تقدير أولاً، وعلى الإيجاد على وفق التقدير ثانياً، وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثاً، فالله سبحانه هو الخالق البارىء المصوّر بالاعتبارات الثلاثة**» [2] . ولهذا يقول الطبرسي: ﴿**البارىء**﴾ «**المنشيء للخلق**

١- الكراجكي : كنز الفوائد - جـ ١ - ص ٢٤٥ .

٢- الفيض الكاشاني : الصافي - جـ ٥ - ص ١٦٠ .

الفاعل للأجسام والأعراض» [1] .

ويقول الطباطبائي في تفسيره : «**وأما قوله : ﴿هو الله الخالق البارىء المصور﴾ فالمذكور فيه من الأسماء يفيد معنى الخلق والإيجاد، واختصاص ذلك به تعالى**» [2] .

وبناء على ذلك فالولاية التكوينية التي يدل عليها نفس لفظ «التكوينية»، هي من شؤونه سبحانه المختصة به، ودليل ذلك أيضاً قوله تعالى: **﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾** الزمر، ٣٨ .

يقول الطباطبائي : «**وإذا كان الخلق إليه تعالى، فما في السماوات والأرض من عين ولا أثر إلا وينتهي وجوده إليه تعالى.. وليس لأحد أن يمسك خيراً يريده تعالى، أو يكشف شراً يريده تعالى له، لأنه من الخلق والإيجاد، ولا شريك له تعالى في الخلق والإيجاد حتى يزاحمه في خلق شيء أو يمنعه عن خلق شيء أو يسبقه إلى خلق شيء، والتدبير نظم الأمور وترتيب بعضها على بعض خلق وإيجاد، فالله الخالق لكل شيء، كاف في تدبير أمر العالم، لأنه الخالق لكل شيء وليس وراء الخلق شيء حتى يتوهم استناده إلى غيره، فهو الله رب كل شيء وإلهه لا رب سواه ولا إله غيره**» [3]. لأن «.. **الخلق والإيجاد منه تعالى، لا يشاركه في ذلك أحد، فإذا سلّم ذلك، ومن المسلّم أن الرزق مثلاً**

١- الطبرسي : مجمع البيان - جـ ٩ - ص ٣٣٨ .

٢- الطباطبائي : الميزان - جـ ١٩ - ص ٢٢٣ .

٣- نفس المصدر : جـ ١٧ - ص ٢٦٦ .

خلق وكذا سائر الشؤون لا تنفك عن الخلق، رجع الأمر كالخلق إليه تعالى، ولم يبق لآلهتهم شأن من الشأن»[1] .

وإن كان المراد من الولاية : كما في قوله تعالى : **﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾**.

يقول الشيخ الطوسي في ذلك : «**أخبر الله تعالى أن ﴿النبي﴾ (ص)، ﴿أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾، بمعنى أحق بتدبيرهم، وبأن يختاروا ما دعاهم إليه، وأحق بأن يحكم فيهم بما لا يحكم به الواحد في نفسه لوجوب طاعته التي هي مقرونة بطاعة الله، وهو أولى في ذلك وأحق من نفس الإنسان.. ولأن النبي (ص)، لا يدعو إلا إلى طاعة الله، وطاعة الله أولى أن تختار على طاعة غيره**»[2] . وعلى هذا، فالولاية هنا، معناها تنفيذ وتطبيق الأوامر والنواهي الإلهية، أي أن ولاية الأنبياء والأئمة (ع)، في تطبيق الشريعة والقانون. يقول جوادي آملي : «**.. فالله تعالى يدبّر الكون بإعمال الولاية.. والله وحده هو الذي يمتلك حق جعل القانون وهو الذي يبلغ الأحكام المجعولة للناس عن طريق النبي.. على أن النبي يجب أن يسمع الأحكام الإلهية المجعولة ويبلغها للناس**»[3] . ودليل ذلك ما يقوله صاحب الميزان: **إن الحكم في حق الناس والأمر مطلقاً إلى الله سبحانه، وليس**

١- نفس المصدر : جـ ١٦ - ص ١٩٥ .

٢- الطوسي : التبيان - جـ ٨ - ص ٢٨٧ .

٣- جوادي آملي : ولاية الإنسان في القرآن - ص ١٨٤ .

للنبي (ص)، إلا أنه رسول مبلّغ لا حاكم مسيطر، كما قال تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ وقال تعالى : ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ [1]. وهذا المعنى بيناه في معنى الولاية فراجع، إذن، فالمعنى الأول من الولاية الموصوفة بالتكوينية، منحصر في ذات الواجب وهو الله، وعلى المعنى الثاني، فالولاية كما تكون لله سبحانه، كذلك تكون للأنبياء والأوصياء، ولكن لا بمعنى جعل القانون، لأن ذلك من مختصاته سبحانه، بل بمعنى التطبيق والتنفيذ. ودليل ذلك ما يقوله السيدالطباطبائي في تفسير قوله تعالى : «فالله هو الولي، تعليل للإنكار السابق لاتخاذهم من دونه أولياء، فيكون حجة لوجوب اتخاذه ولياً، والجملة، ﴿فالله هو الولي﴾، تفيد حصر الولاية في الله، وقد ثبتت الحجة على أصل ولايته وانحصارها فيه من قوله في الآيات السابقة: ﴿العزيز الحكيم له ما في السماوات وما في الأرض وهو العلي العظيم﴾، .. والمعنى : أنه تعالى ولي تنحصر فيه الولاية، فمن الواجب على من يتخذ ولياً أن يتخذه ولياً ولا يتعداها إلى غيره، إذ لا ولي غيره .. وقوله : ﴿وهو على كل شيء قدير﴾، حجة ثالثة على وجوب اتخاذه تعالى ولياً دون غيره، ومحصلّه أن من الواجب في باب الولاية أن يكون للولي قدرة على ما يتولاه من شؤون من يتولاه وأموره، والله سبحانه على كل شيء قدير ولا قدرة لغيره..»[2].

١- الطباطبائي : الميزان - جـ ٢ - ص ١٢٣ .

٢- نفس المصدر : جـ ١٨ - ص ٢٢ .

وقوله تعالى : **﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾**، **حجة رابعة على كونه تعالى ولياً لا ولي غيره.. وحكمه تعالى : إما تكويني.. وإما تشريعي، كالتكاليف الموضوعة في الدين الإلهي الراجعة إلى الاعتقاد، والعملي، قال تعالى: ﴿إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم﴾** [1]. وهذا المعنى لا بد وأن يحمل على الولاية التكوينية والتشريعية، بمعنى أن الولاية يقصد بها التصرف المطلق في عالم التكوين والإيجاد والاختراع، وعالم التشريع، وكل منهما مختص بالله سبحانه دون سواه، وعلى هذا تثبت الولاية التكوينية لله تعالى، ونفيها عن غيره مطلقاً.

وأما الآيات الدالة على أن المعاجز من فعل الله سبحانه يجريها على أيدي رسله وأنبيائه، والنافية لولاية غير الله التكوينية كثيرة، نذكر جملة منها على سبيل المثال لتدل على أن الولاية التكوينية وحق التصرف في شؤون الكون من حيث الإيجاد والاختراع، مما لا يقدر عليه غير الله سبحانه منها :

قوله تعالى : **﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات﴾**، أي المعجزات الدالة على صدق دعواه بأنه رسول الله، كإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، والإخبار عما كانوا يأكلونه أو يدخرونه في بيوتهم، فالإتيان في هذه الآية لهذه المعاجز من الله سبحانه، لَدَليل على أنها من فعل الله يجريها على أيدي أنبيائه ورسله، ولا صنع لهم

١- نفس المصدر : ص ٢٣ .

فيها، حتى تثبت لهم (ع) الولاية التكوينية، فما قيل من أن الله أقدرهم على صنعها لا دليل عليه، بل هو مخالف لصريح الآية. ودليله أيضاً قوله تعالى : **﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم﴾** آل عمران، ٤٩ . فالآية التي جاء بها عيسى (ع) من ربه، هي المعجزة، وهي من الله سبحانه وليست من عيسى (ع) .

وقوله تعالى بالنسبة لمعاجز موسى (ع): **﴿لنريك من آياتنا الكبرى﴾** طه، ٢٣ . يقول الطباطبائي في تفسيرها : **«أجرينا ما أجرينا على يدك لنريك بعض آياتنا الكبرى»** [١] . ويقول الشيخ الطوسي قدس سره في تفسير الآية : **«معناه، قلب العصا حية، لنريك من آياتنا وحججنا الكبرى. ثم قال تعالى له : اذهب إلى فرعون. ولهذا جاء في قوله تعالى : ﴿ ولقد أريناه آياتنا كلها﴾ تقديره، أريناه آياتنا التي أعطيناها موسى وأظهرناها عليه، ﴿كلها﴾ لما يقتضيه حال موسى (ع) معه، ولم يرد جميع آيات الله التي يقدر عليها، ولا كل آية خلقها الله..»** [٢] . ولهذا يقول السبزواري : **﴿لنريك من آياتنا الكبرى﴾ أي نفعل معك ذلك لتنظر إلى دلائلنا ومعاجزنا التي يعجز الخلق عن الإتيان بما يشبهها»** [٣] .

ومن الآيات الدالة على أن المعجزة من فعل الله وصنعه،

١- نفس المصدر : جـ ١٤ - ص ١٤٥ .

٢- الطوسي : التبيان - جـ ٧ - ص ١٤٩، ١٥٩ .

٣- محمد السبزواري : الجديد في تفسير القرآن - جـ ٤ - ص ٤٢٧، ٤٢٨ .

يجريها على أيدي أنبيائه ورسله، قوله تعالى : **﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه﴾** . **«مثل ناقة صالح وعصا موسى (ع)، ومائدة عيسى (ع) . ﴿قل إنما الآيات عند الله﴾ ينزلها كما يشاء، لست أملكها فآتيكم بما تقترحونه، ﴿وإنما أنا نذير مبين﴾ ليس من شأني إلا الإنذار بما أعطيت من الآيات»** [1] .

يقول صاحب الميزان في تفسير الآية : **﴿قل إنما الآيات عند الله﴾، جواب عن زعمهم أن من يدعي الرسالة يدعي قوة غيبيّة يقدر بها على كل ما أراد، بأن الآيات عند الله ينزلها متى أراد وكيفما شاء لا يشاركه في القدرة عليها غيره، فليس إلى النبي شيء إلا أن يشاء الله، ثم زاده بياناً، بقصر شأن النبي (ص) في الإنذار فحسب بقوله : ﴿إنما أنا نذير مبين﴾** [2].

وبناء على هذا، فإن ولاية الأنبياء والرسل والأئمة صلوات الله عليهم هي في الإنذار وتبيين الأحكام المنزلة من الله سبحانه وتطبيقها على الأمة. وهذا مصداق قوله تعالى: **﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾** في بيان الحلال والحرام وتطبيق الشريعة.

ويقول الشيخ الطوسي في تفسيره: **«ثم حكى عن الكفار أنهم قالوا: هلا أنزل على محمد آية من ربه يريدون آية يقترحونها، وآية كآية موسى من فلق البحر وقلب العصا حية، فقال الله تعالى**

١- الكاشاني : الصافي - جـ ٤ - ص ١٢٠ .
٢- الطباطبائي : الميزان - جـ ١٦ - ص ١٤٠ .

لهم، ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿إنما الآيات عند الله﴾، ينزلها ويظهرها بحسب ما يعلم من مصالح خلقه، ﴿وإنما أنا نذير﴾ [1].

ومن الآيات الدالة على كون المعجزة من فعل الله يجريها على أيدي أنبيائه ورسله قوله تعالى : **﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾** . يقول الفيض الكاشاني : **«ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا قبله، أتى بمعجزات باهرة من قبل الله تعالى، كما أتوا، فإن أحيى - الله - الموتى على يده، فقد أحيى - الله - العصا على يد موسى وجعلها حية تسعى، وهو أعجب، وإن خلقه من غير أب، فقد خلق آدم من غير أب وهو أغرب..»** [2] .

ويقول السيد عبدالله شبر : **«﴿من قبله الرسل﴾، خصّه الله بآيات كما خصّهم بها، فإن أحيى - الله - الموتى على يده، فقد أحيى - الله - العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى..»** [3] . ولهذا جاء عن الشيخ الطوسي قوله : **«أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه ليس المسيح ابن مريم إلا رسول أرسله الله، وقد خلت من قبله الرسل، أي أنه رسول وليس بإله، كما أن الأنبياء قبله رسل ليسوا بآلهة، وأنه أتى بالمعجزات من قبل الله كما أتوا بها من قبل ربهم»** [4] .

١- الطوسي : التبيان - جـ ٨ - ص ٢٩٤ .
٢- الفيض الكاشاني : الصافي - جـ ٢ - ص ٧٢ .
٣- عبد الله شبر : الجوهر الثمين - جـ ٢ - ص ٢٠٢ .
٤- الطوسي : التبيان - جـ ٣ - ص ٥٩٠ .

ومن الأدلة على انحصار الولاية التكوينية بالله سبحانه، ونفيها عن غيره، قوله تعالى: ﴿**وقالوا لن نؤمن لك حتى تَفْجُرَ لنا من الأرض ينبوعاً، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً، أو يكون لك بيت من زخرف..** إلى قوله تعالى : **قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا**﴾. الإسراء، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣ .

يقول ناصر مكارم الشيرازي في تفسير الآية : «**الجواب الثاني: بغض النظر عما مضى، فإن الإتيان بالمعجزات ليس من عملي، فأنا بشر مثلكم، إلا أنني رسول الله، والقيام بالمعاجز من عمل الخالق وبإرادته تتم، وبأمره تُنجَز، فأنا لا أستطيع مثل هذه الأمور من الخالق، ولا يحق لي أن أتدخل في مثل هذه الأمور، فمتى شاء سبحانه فسيبعث بالمعجزات لإثبات صدق دعوة رسوله، : ﴿هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾، إن مسؤولية الرسول (ص)، هي إثبات ارتباطه بالخالق عن طريق المعجزة، وعندما يأتي بالقدر الكافي من المعاجز، فليس عليه أية مسؤولية أخرى، إنه (ص) قد لا يعرف بزمان نزول المعجزات، وقد يطلب المعجزة من ربه عندما يعلم بأن فيها ما يرضي الله ويرضي الخالق**»[1] .

وبناء على ذلك فالمعاجز كلها من فعل الله سبحانه، ولا قدرة لأي مخلوق في صنعها وفعلها، وهذا من الأدلة الواضحة على

١- ناصر مكارم الشيرازي : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - جـ ٩ - ص ١٢٦ .

نفي الولاية التكوينية عن غير الله، وإثباتها له سبحانه، ودليل ذلك ما يقوله الشيخ الطوسي في تفسير الآية : ﴿قل سبحان ربي﴾، «معناه أن الرسول قال ذلك عند اقتراحهم ما تقدم ذكره، مما لا يدخل تحت مقدور البشر.. ﴿قل﴾ يا محمد ﴿سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾، وإنما أجابهم بذلك، لأن المعنى، أنكم تقترحون عليّ الآيات، وإنما أمرها إلى الذي أرسلني والذي هو أعلم بالتدبير مني..» (١).

ويقول الطباطبائي في تفسير الآية : «.. والآيات تحكي الآيات المعجزة التي اقترحتها قريش على النبي (ص) .. إلى قوله: ﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾ فيه أمره (ص) أن يجيب عما اقترحوه عليه.. فإنهم سألوه أموراً عظاماً لا يقوى على أكثرها إلا القدرة الغيبية الإلهية.. ولم يرضوا بهذا المقدار ولم يقتنعوا به دون أن جعلوه هو المسؤول المتصدي لذلك المجيب لما سألوه فلم يقولوا لن نؤمن لك حتى تسأل ربك أن يفعل كذا وكذا، بل قالوا : لن نؤمن لك حتى تفجر..إلخ، فإن أرادوا منه ذلك بما أنه بشر، فأين البشر من هذه القدرة المطلقة غير المتناهية.. وإن أرادوا منه ذلك بما أنه يدعي الرسالة، فالرسالة لا تقتضي إلا حمل ما حمّله الله من أمره وبعثه لتبليغه بالإنذار والتبشير، لا تفويض القدرة الغيبية إليه وإقداره أن يخلق كل ما يريد، ويوجد كل ما شاؤوا، وهو (ص) لا يدعي لنفسه ذلك..

١- الطوسي : التبيان - جـ ٦ - ص ٥١٨ .

ولذلك أمره (ص) أن يبادر في جوابهم أولاً إلى تنزيه ربه مما يلوح إليه اقتراحهم هذا من المجازفة وتفويض القدرة إلى النبي (ص).. وثانياً إلى الجواب بقوله في صورة الاستفهام : ﴿هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾ وهو يؤيد كون قوله : ﴿سبحان ربي﴾ واقعاً موقع التعجب، أي إن كنتم اقترحتم عليّ هذه وطلبتموها مني بما أنا محمد، فإنما أنا بشر ولا قدرة للبشر على شيء من هذه الأمور، وإن كنتم اقترحتموها لأني رسول أدعي الرسالة فلا شأن للرسول إلا حمل الرسالة وتبليغها، لا تقلّد القدرة الغيبية المطلقة..» [1]

ويستفاد من ذلك أمور :

الأول : أن المعاجز التي طلبوها من النبي (ص) لا يستطيع أحد أن يفعلها أو يصنعها، وإنما هي فعل القدرة الغيبية، وهذا هو معنى الولاية التكوينية المنحصرة في الله سبحانه.

الثاني : أن النبي (ص) نفى عن نفسه هذه القدرة وهذه الولاية، لأنها من شؤون الواجب سبحانه، فالله لم يفوّض له (ص) القدرة الغيبية وإقداره على الخلق وإيجاد ما يريد لأنه يلزم أن يكون النبي (ص) شريكاً مع الله في قدرته على الخلق والإيجاد. ودليل ذلك ما يقوله الطبرسي في تفسير قوله تعالى : **﴿وهو الولي﴾ الذي يتولى تدبير عباده وتقدير أمورهم ومصالحهم، المالك لهم، ﴿الحميد﴾ المحمود على جميع أفعاله لكون جميعها إحساناً ومنافع. ﴿ومن آياته﴾ الدالة على وحدانيته وصفاته التي**

١- الطباطبائي : الميزان - جـ ١٣ - ص ٢٠٣، ٢٠٤ .

باين بها خلقه، ﴿خلق السماوات والأرض﴾ لأنه لا يقدر على ذلك غيره» [1] ويؤكد ذلك ما يقوله الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: **﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ﴾ القصر الأول قصره (ص) في البشرية المماثلة لبشرية الناس لا يزيد عليهم بشيء، ولا يدعيه لنفسه قبال ما كانوا يزعمون أنه إذا ادعى النبوة فقد ادعى كينونة إلهية وقدرة غيبية. ولذلك كانوا يقترحون عليه بما لا يعلمه إلا الله، ولا يقدر عليه إلا الله، لكنه (ص) نفى ذلك كله بأمر الله عز وجل عن نفسه، ولم يثبت لنفسه إلا أنه يوحى إليه** [2]. وهذا الادعاء سرى إلى أذهان بعض المسلمين من المتأخرين، حيث ادعوا أن الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم، لهم من الولاية التكوينية وحق التصرف في عالم الإيجاد والخلق، بل لهم القدرة على التصرف في عالم الكون، وهذا مجرد ادعاء لا سند له من النقل أو العقل. بل النقل ينفي مثل هذه الولاية ويثبتها لله سبحانه على وجه الحصر، كما تقدم من أقوال العلماء.

الثالث : عدم قدرة النبي (ص) على الإتيان بهذه المعاجز التي طلبوها منه، دليل على حصر الولاية التكوينية بالله سبحانه.

ودليل ذلك قوله تعالى : **﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لآيات لقوم يعقلون﴾** البقرة ، ١٦٤ . يقول الطبرسي : **«.. وأما الرياح فيدل تصريفها**

١- الطبرسي : مجمع البيان - جـ ٩ - ص ٤١ .

٢- الطباطبائي : الميزان - جـ ١٣ - ص ٤٠٥ .

بتحريكها وتفريقها في الجهات.. على أن مصرفها قادر على ما لا يقدر عليه سواه، إذ لو أجمع الخلق كلهم على أن يجعلوا الصبا دبوراً، أو الشمال جنوباً، لما أمكنهم ذلك، وأما السحاب المسخر فيدل على أن ممسكه هو القدير الذي لا شبيه له ولا نظير، لأنه لا يقدر على تسكين الأجسام بغير علاقة ولا دعامة إلا الله سبحانه وتعالى القادر لذاته الذي لا نهاية لمقدوراته، فهذه هي الآيات الدالة على أن الله سبحانه صانع لا يعجزه شيء، عالم لا يخفى عليه شيء.. وفيها أيضاً أوضح دلالة على أنه سبحانه المنّان على عباده بفوائد النعم المنعم عليهم بما لا يقدر غيره على الإنعام بمثله من جزيل القسم، فيعلم بذلك أنه سبحانه الإله الذي لا يستحق العبادة سواه..» [1] .

وأما من يدعي، أن الأنبياء (ع)، لهم من القدرة والقوة الذاتية تمكّنهم من التأثير في إيجاد هذه المعاجز، فعليه بالدليل القاطع، والبرهان الساطع، الذي عنده تخرس الألسن، وتكم الأفواه، وإلا كان كلامه مجرد دعوى خال عن الدليل، بل هو محض افتراض من دون دليل أو برهان يعتمد عليه، وإلا، فكما جاز له أن يفترض ذلك، جاز لغيره أن يفترض خلافه لتساوي الكفتين في الافتراض، مع العلم، أن خلافه، وهو أن المعاجز من صنع الباريء المصور الخالق لكل شيء، يؤيده البرهان، وتؤكده الأدلة من القرآن والسنة وأقوال العلماء وحكومة العقل، إضافة إلى أن

١- الطبرسي : مجمع البيان - جـ ١ - ص ٤١٨ .

الممكن بالذات، لا يمكن أن تكون له القدرة والقوة الغيبية على إيجاد شيء من لا شيء، أو خلق شيء من شيء، أو من لا شيء، لئلا يشارك القديم في أخص صفاته الفعلية وهي الخالقية. **﴿ألا له الخلق والأمر﴾**، **﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾**، وبهذا تثبت الولاية التكوينية لله وحده، ونفيها عن غيره سبحانه، وهذا ما سوف نعرض له عند التعرض للآيات القرآنية الدالة على انحصار الولاية التكوينية والتشريعية به سبحانه، إضافة إلى ما مر من أقوال العلماء الأعلام.

وأما من يدعي، أن المعاجز التي جاء بها الأنبياء (ع) تدل على الولاية التكوينية، فهو ادعاء في غير محله، لأن المعاجز ليست من فعل الأنبياء (ع)، ولا من صنعهم، وليست لهم القدرة على ذلك، كما ذكرناه، وكما سوف نذكره من أقوال العلماء، حتى يستدل على ذلك، بثبوت الولاية التكوينية للأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين.

جملة من أقوال العلماء في المعجزة

نذكر جملة من أقوال العلماء في المعجزة، ليتضح بطلان من يدعي، أن المعاجز التي جاء بها الأنبياء من فعلهم وصنعهم، ليجعلها دليلاً على الولاية التكوينية للأنبياء والأئمة (ع)، مع أنه من الثابت والمسلّم به نقلاً وعقلاً، أن هذه المعاجز التي ذكرها القرآن الكريم، هي من فعل الله وصنعه، أجراها سبحانه على أيدي أنبيائه ورسله، لتكون دليلاً على صدق دعواهم، فهي من أظهر الأدلة على انحصار الولاية التكوينية في الله سبحانه، ونفيها عن غيره مطلقاً، كما سنشير إلى ذلك عند التعرض للآيات الدالة على ذلك. وإليك جملة من هذه الأقوال التي تثبت ما ادعيناه :

١- يقول السيد محمد مهدي الكاظمي القزويني : «**إن الله هو الخالق للمعاجز التي صدرت على يد رسله من دون ريب، ولذلك قال سبحانه: ﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين﴾ .. وبالجملة، فالفرقان العظيم دل على كون ما جاء به الرسل من المعاجز بأجمعها آيات الله سبحانه وهو الفاعل لها المجري لها على أيدي رسله من آدم إلى نبينا (ص)** »[1] .

وهذا دليل على فساد من يدعي، أن خلق الطير في قوله تعالى : ﴿**وإذ تخلق**﴾ وقوله تعالى: ﴿**أني أخلق**﴾، كان من فعل

١- السيد محمد مهدي الكاظمي القزويني : بوار الفالين - ص ١٢٨ .

عيسى (ع). مع أنه كان معجزة من معاجز عيسى (ع)، وقلنا إن كل معجزة هي من فعل الله سبحانه لا من عيسى (ع) .

٢- يقول السيد أمير محمد القزويني : «.. **المعجزة هي ما يعجز البشر عن الإتيان بمثله لكونه خارقاً للعادة، وينكشف لذلك كونه عن علاقة مخصوصة بالخالق وربط خاص به، والمدار على كون الشيء خارقاً للعادة هو اعتراف أهل الخبرة بذلك، كاعتراف السحرة بالعجز عن الإتيان بمثل عصا موسى (ع) .. إذ من الممتنع على الله تعالى في العقول أن يظهر المعجزة على يد الكاذب .. ولهذا فإن أمر العصا واليد البيضاء من عناية الله الخاصة بموسى (ع) خارجة عن حدود القدرة البشرية تصديقاً لدعوته..**» [١].

ويقول أيضا: «**وقد ظهر على يديه - أي الرسول (ص) - من الخوارق والآيات الباهرة والمعاجز الساطعة في زمانه من قبل الله تعالى تصديقاً لدعوته ما أبهر بها العقول وانقاد لها ذوو البصائر والألباب**» [٢] .

٣- يقول الشيخ محمد رضا المظفر عن الدليل المعجز: «.. **وذلك الدليل لا بد أن يكون من نوع لا يصدر إلا من خالق الكائنات ومدبر الموجودات، أي فوق مستوى مقدور البشر، فيجريه على يدي ذلك الرسول الهادي.. وذلك الدليل هو**

١- السيد أمير محمد القزويني : أصول المعارف - ص ٧١، ٧٢ .

٢- السيد أمير محمد القزويني : أصول الشيعة وفروعها - ص ٢٦ .

المسمى بالمعجز أو المعجزة، لأنه يكون على وجه يعجز البشر عن مجاراته والإتيان بمثله» [1] .

٤- يقول الشهيد دستغيب: «**المعجزة هي ما يظهره الله على يد رسوله من الفعل الخارق للعادة بحيث يعجز عنه سائر البشر.. بمعنى أن الله سبحانه لا يُظهر المعجزة على يد الكاذب المدعي للنبوة.. ولذلك فإن المعجزة لا تجري إلا على يد الصادق في دعواه ومدعاه**» [2] .

ويقول أيضاً : «**إن متعلق المعجزة طرق رحماني هو الله سبحانه يجريها على يدي أنبيائه ورسله لإثبات صدق نبوتهم..**» [3]

ويقول أيضاً: «**إن المعجزة لا تحتاج إلى مؤونة خاصة.. إذ بمجرد ما يطلب النبي المعجزة، فإن الله يجريها على يديه فوراً.. ثم إن المعجزة تقع وتظهر طبقاً لما يطلبه الناس من النبي.. فلو طلب الناس من نبي معين أن يحيي إنساناً بعد مائة سنة على موته، وطلب النبي ذلك من ربه، فإن الإنسان الميت منذ مائة عام سيقوم من قبره حياً**» [4] .

٥- يقول الشيخ عبد الله نعمة: «**.. بأن يظهر الله على يدي هذا الشخص «النبي» ، «المعجزة» ، وهو ما يتحدى طاقة البشر وقدراتهم، ويكون استثناء من اطراد قانون الطبيعة، وخرقاً لها،**

١- محمد رضا المظفر : عقائد الإمامية - ص ٢٣ .
٢- عبد الحسين دستغيب : أجوبة الشبهات - ص ٦٩ .
٣- نفس المصدر : ص ٧٠ .
٤- نفس المصدر : ص ٧١، ٧٢ .

وهذه المعجزة ضرورة تفرضها ضرورة الرسالة، تأييداً لصدق دعوته.. من إظهار الله المعجزة على أيديهم» [1] .

ويقول أيضاً: «ومن هنا يسهل فهم المعجز الذي هو خرق لقانون الطبيعة، ما دام موجد العالم هو الذي وضع للطبيعة قوانينها.. والمعجز قد يكون مادياً محسوساً كالكثير من معجزات الأنبياء.. كجعل النار برداً وسلاماً على ابراهيم..، وكانقلاب عصا موسى حية تسعى.. وكانشقاق البحر حين ضربه موسى بعصاه.. » [2].

٦- يقول الشيخ الكراجكي: «وأنه سبحانه، أظهر على أيديهم المعجزات تصديقاً لهم فيما ادعوه من الأنباء والأخبار.. والآيات التي تظهر على أيديهم هي فعل الله دونهم، أكرمهم بها، ولا صنع لهم فيها» [3].

ويقول أيضاً: «وأن الله عز وجل يظهر على يديه عند ظهوره - أي الحجة (ع) - الأعلام، وتأتيه المعجزات بخرق العادات، ويحيي - الله - له بعض الأموات» [4] .

٧- يقول الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وقالوا لن نؤمن لك﴾ معناه أن هذه الأشياء ليس في طاقة البشر أن يأتي بها وان يفعلها، فلا أقدر بنفسي أن آتي بها كما لم يقدر من كان قبلي من

١- عبد الله نعمة : عقيدتنا - ص ٢٨٩ .
٢- نفس المصدر : ص ٢٩٠ .
٣- الكراجكي : كنز الفوائد - ج ١ - ص ٢٤٢ .
٤- نفس المصدر : ص ٢٤٥ .

الرسل، والله تعالى إنما يُظهر الآيات المعجزة على حسب المصلحة وقد فعل فلا تطالبوني بما لا يطالب به البشر» [1] .

ويقول أيضاً إن السحرة «لما رأوا تلك الآيات الباهرة علموا أنه أمر سماوي لا يقدر عليه غير الله تعالى، فمنها قلب العصا حية، ومنها أكلها حبالهم وعصيهم مع كثرتها.. ومنها عودها عصا كما كانت.. وكل من هذه الأمور يعلم كل عاقل أنه لا يدخل تحت مقدور البشر.. وأن السحرة لما شاهدوا تلك الآيات علموا أنها من عند الله تعالى آمنوا بالله تعالى وبموسى» [2].

٨- يقول الخواجة نصير الدين الطوسي في معنى المعجز: «والمعجز هو فعل خارق للعادة يعجز عن أمثاله البشر» [3].

ويقول أيضاً: «محمد رسول الله (ص) لأنه ادعى النبوة وظهرت على يده المعجزة وكل من كان كذلك كان رسولاً من الله حقّاً، إذ لا يمكن لغير الله تعالى إظهار المعجز.. لأن المعجز لا يكون من غير الله تعالى وظهوره مع دعواه يدل على تصديق الله تعالى إيّاه» [4]، «والمعجز هو الذي به يمتاز مقرر العدل عن غيره ولو لم يكن ذلك من عند الله تعالى لم يكن مقبولاً عند الجمهور» [5].

ويقول أيضاً: «وأمّا كون كل مدّعي نبوة ذي معجز مطابق

١- الطبرسي : مجمع البيان - جـ ٦ - ص ٥٦٩ .
٢- نفس المصدر: جـ ٤ - ص ٥٧٣ .
٣- نصير الدين الطوسي : رسالة في قواعد العقائد - ص ٧٢ .
٤- نفس المصدر : ص ٧٥ - ٧٦ .
٥- نفس المصدر : ص ٧٨ .

لدعواه فهو نبي، معلوم عقلاً، لأن المعجز لا يكون من غير الله تعالى، [1].

٩- يقول الشيخ المفيد قدس سره: **«المعجز فعل الله تعالى وهو قائم مقام التصديق،** [2].

١٠- يقول الشيخ مفيد الفقيه: **«المعجزة هي ما يكون من قبل الله تعالى خارقاً للعادة ولنواميس الطبيعة مع عجز البشر عنها أو عن مثلها،** [3].

١١- يقول السيد عبد الأعلى السبزواري: **«أن يكون - أي الفعل - سببه من الأسباب الغيبية الإلهية.. والإعجاز بنفسه أيضاً يكون من هذا القسم، فهو من فعله تعالى في أفراد خاصة من الإنسان إقامة للحجة على الجميع.. فكما أن الله تعالى إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون بلا سبب في البين أصلاً إلا الإرادة التامة المقدسة، جعل سبحانه لأنبيائه المعجزات، ولأوليائه خوارق العادات بهذا المعنى لمصالح كثيرة.. بل المعجزة وخارق العادة من إيجاد الله تعالى القدرة الخلاقة في من شاء من عباده لمصالح كثيرة تقتضي ذلك»** [4].

ويقول أيضاً في تفسير قوله تعالى: **﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر﴾، ذكر سبحانه وتعالى في**

١- العلامة الحلي : كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد - ص ٢٧٩ .
٢- الشيخ المفيد : النكت الاعتقادية - ص ٣٧ .
٣- مفيد الفقيه : العقل في أصول الدين - ص ٢٢١ .
٤- السبزواري: مواهب الرحمن في تفسير القرآن - جـ ١ - ص ١١٦، ١١٧ .

هذه الآيات المباركة جملة من المعجزات التي صدرت من موسى (ع)، وهي كلها من صنع الله تعالى [1].

١٢- يقول المحدث المجلسي: «.. أن الله تعالى يفعلها - أي المعجزات - مقارناً لإرادتهم، كشق القمر، وإحياء الموتى، وقلب العصا حية، وغير ذلك من المعجزات، فإن جميعها إنما تقع بقدرته سبحانه مقارناً لإرادتهم لظهور صدقهم.. لكن الأخبار الكثيرة مما أوردناها في كتاب بحار الأنوار، يمنع من القول به فيما عدا المعجزات ظاهراً بل صريحاً» [2].

١٣- يقول السيد أبو القاسم الديباجي: «المعجزات الخارقة التي أتى بها الأنبياء والمرسلون (ع) ليست هي من صنعهم وفعلهم الذاتي قطعاً، ولا يمكن القول بقدرتهم على الإتيان بها وإحداثها بمفردهم، بل هي من صنع الله تبارك وتعالى أجراها على أيديهم المباركة تصديقاً لدعواهم، وتأييداً لهم.. ولا غرابة في ذلك، فإذا كان الأنبياء بشراً، فإن جميع ما ينطبق على البشر ينطبق عليهم» [3].

١٤- يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: «إضافة إلى كل ما مر، فإننا نعلم أن المعجزة من عمل الخالق جل وعلا، وليست من عمل الرسول (ص) في حين يظهر واضحاً من كلامهم أنهم كانوا يعتبرون المعجزة من فعله (ص) .. الرسول (ص) كان يعتقد بأن

١- نفس المصدر: ص ٢٦٦ .

٢- المجلسي: مرآة العقول - جـ ٣ - ص ١٤٢، ١٤٣ .

٣- أبو القاسم الديباجي: النبوة دراسة معاصرة - ص ٩٩، ١٠٠ .

عليه أن يزيل هذه الأوهام من عقولهم ويثبت لهم بأنه ليس هو الله ولا هو شريكه، والمعجزة من الله دون سواه، فأنا بشر مثلكم، والفارق أن الوحي ينزل عليّ، وبمقدار ما يلزم الأمر فإن الله ينزل المعاجز، ولا أستطيع أن أفعل أكثر من هذا : ﴿سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾ ، إن هذا التعبير على لسان رسول الله (ص) هو خير دليل على هذه المعاني، إذ أن الخالق منزه عن أي شريك وشبيه. وبالرغم من أن القرآن ذكر معاجز متعددة لعيسى عليه السلام، مثل إحياء الموتى وشفاء المرضى وغير ذلك، إلا أن هذه المعجزات جميعاً كانت ملحقة بكلمة «بإذني» أو «بإذن الله» أي أنها تتم - فقط - بإذن الخالق، وأجريت على يد المسيح (ع)» [1].

ويقول أيضاً: «لا شك أن ما ذُكر أعلاه من تبدّل عصا موسى إلى حية عظيمة تسعى.. ثم رجوعها إلى الحالة الأولى ليس أمراً طبيعياً، أو نادراً، أو قليل الوقوع، بل كلا الأمرين يعتبر خارقاً للعادة لا يمكن أن يقع ويقبل بدون الاستناد إلى قوة فوق قوة البشر، أي قوة الله الجبار» [2].

١٥- يقول السيد المرتضى علم الهدى: «ومعنى قولنا «معجز» في التعارف ما دل على صدق من ظهر عليه واختص به، وإنما يدل على ذلك بشرائط: الأول، أن يكون من فعله تعالى، والثاني، أن ينتقض به العادة المختصة بمن ظهر المعجز فيه، والثالث، أن

١- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - جـ ٩ - ص ١٢٩ .
٢- نفس المصدر: ص ٤٨٠ .

يختص بالمدعي على طريقة التصديق لدعواه. وإنما قلنا: «أن يكون من فعله تعالى» ولم نقل «أو ما يجري مجرى فعله» على ما يمضي في الكتب، لأن المدعي إنما يدعي على الله تعالى يصدقه بما يفعله» [1].

ويقول أيضاً: «وأما الطريق إلى العلم بأنه من فعله تعالى، فهو بأن يكون من جنس لا يقدر عليه العباد، كالحياة والجسم، أو يقع على وجه مخصوص لا يقدر على إيقاعه عليه العباد، كنقل الجبال وفلق البحر، والكلام الخارق للعادة بفصاحته». «وأما الوجه في كون المعجز متعذر الجنس أو الصفة المخصوصة على العباد، فهو لأنا متى لم نعلم كذلك لم نثق بأنه من فعله تعالى، وجوزنا أن يكون من فعل غيره، وقد بيّنّا أن المعجز لا بد من أن يكون فعله تعالى» [2].

١٦- يقول محمد جواد البلاغي النجفي: «المعجز، هو الذي يأتي به مدعي النبوة بعناية الله الخاصة خارقاً للعادة وخارجاً عن حدود القدرة البشرية وقوانين العلم والتعلم ليكون بذلك دليلاً على صدق النبي وحجته في دعواه النبوة ودعوته.. إلى قوله: ثم رجعت بعد ذلك عصا كحالها الأول، ولم يبق لحبالهم وعصيهم عين ولا أثر فإنهم - أي السحرة - بسبب معرفتهم لحدود السحر عرفوا أن أمر العصا خارج عن صناعة السحر وعن

١- الشريف المرتضى: الذخيرة في علم الكلام - ص ٣٢٨ .
٢- نفس المصدر: ص ٣٢٩ .

حدود القدرة البشرية، ولذا آمن السحرة بأن أمرها من الله تعالى» [1].

١٧- يقول شيخ الطائفة الطوسي: «والآية، هي المعجزة الدالة على نبوته، وهو كل ما يعجز الخلق عن معارضته ومقاومته» [2].

ويقول أيضاً: «حكى الله تعالى أن السحرة لما بهرهم ما أظهره موسى (ع) من قلب العصا حية وتلقفها جميع ما أتعبوا نفوسهم فيه، علموا أن ذلك من فعل الله، وأن أحداً من البشر لا يقدر عليه، فآمنوا عند ذلك» [3].

١٨- يقول الطباطبائي: «إن الآيات المعجزة التي يقصها الكلام الإلهي، إما آيات آتاها الله الأنبياء حيث بعثهم لتكون حجة مؤيدة لنبوتهم أو رسالتهم، كما أوتي موسى (ع) اليد البيضاء والعصا، وأوتي عيسى (ع) إحياء الموتى وخلق الطير وإبراء الأكمه والأبرص، وأوتي محمد (ص) القرآن» [4].

ويقول أيضاً: «﴿والذين بآياتنا يؤمنون﴾ أي يسلّمون لما جاءتهم من عند الله من الآيات والعلامات، سواء كانت آيات معجزة، كمعجزات موسى وعيسى ومحمد (ص) وعليهم، أو أحكاماً سماوية كشرائع موسى وأوامره وشرائع غيره من الأنبياء، أو الأنبياء أنفسهم أو علامات صدق الأنبياء كعلائم محمد (ص)

١- محمد جواد البلاغي: آلاء الرحمن في تفسير القرآن - ص ٣، ٤ .
٢- الشيخ الطوسي: التبيان - جـ ٤ - ص ٥١٩ .
٣- نفس المصدر: جـ ٨ - ص ٢٠ .
٤- الطباطبائي: الميزان - جـ ٦ - ص ٢٢٦ .

التي ذكرها تعالى لهم في كتاب موسى وعيسى عليهما السلام: فكل ذلك آيات له تعالى يجب عليهم وعلى غيرهم أن يؤمنوا بها..» [1].

ويقول أيضاً: **﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ للإشارة إلى ما يجري مجرى حجة ثانية، على إرجاع الأمر كله، ومنه امر الآية المعجزة، إلى الله.. وملخصها، أن الإيمان بالله سبحانه يقتضي منهم أن يذعنوا بأن الإتيان بالآية إنما هو إلى الله، لأن الحول والقوة له خاصة، لا يملك غيره من ذلك شيئاً** [2].

هذه جملة من أقوال العلماء في معنى المعجزة، وأنها من فعل الله سبحانه خارجة عن حدود القدرة البشرية. يقول الشيخ الطوسي في تفسير قوله تعالى: **﴿ولقد جاءكم موسى بالبينات﴾ الدالة على صدقه وصحة نبوته، كقلب العصا حية، وانبجاس الماء من الحجر، واليد البيضاء، وفلق البحر، والجراد والقمل، والضفادع، وغيرها من الآيات. وسمّاها بينات، لظهورها وتبينها للناظرين إليها أنها معجزة لا يقدر على أن يأتي بمثلها بشر** [3].

وأما ما يراه بعض المعاصرين من الأعلام في قوله: **«.. فإن كان المقصود بالولاية التكوينية، خرق نواميس الطبيعة، فإن الإمام (ع) يخرق أحياناً نواميس الطبيعة، ويأتي بما يسمى بالمعجز، فيشق القمر، أو يجعل الحصى تسبح، ويمنع النار عن الإحراق،**

١- نفس المصدر: جـ ٨ - ص ٢٧٧ .
٢- نفس المصدر: جـ ١٢ - ص ٢٢ .
٣- الطوسي: التبيان - جـ ١ - ص ٣٥٢ .

وما إلى ذلك من الأمور التي هي خرق لقوانين الطبيعة، فإن سمي هذا بالولاية التكوينية، فهو معقول ومقبول وثابت في الكتاب والسنة المتواترة، فلا شك ولا ريب أن الأئمة (ع) أظهروا من المعاجز ما لا يحصى، والمعجز هو خرق قانون الطبيعة، إلا أن هذا ليس شيئاً جديداً حتى يطلق عليه مصطلح جديد باسم «الولاية التكوينية» [1].

أقول: ويرد على ذلك أمور :

الأول: أما قوله: «**فإن كان المقصود بالولاية التكوينية، خرق نواميس الطبيعة، فإن الإمام (ع) يخرق أحياناً نواميس الطبيعة، ويأتي بما يسمى بالمعجز**». فغير صحيح لمخالفته لمعنى المعجز، كما مر، لأن المعجزة، وإن كانت خارقة للنواميس الطبيعية، إلا أنها خارجة عن حدود القدرة البشرية فالأنبياء والأئمة (ع) ليس بإمكانهم خرق النواميس الطبيعية. لأن خرق النواميس الطبيعية مختص بالله سبحانه، فهو المتصرف في خلقه وملكه، ولهذا كانت المعجزة من فعل الله وصنعه يجريها على أيدي أنبيائه ورسله وأوصيائه، ولا صنع لهم فيها، بل لا يقدر أحد على أن يأتي بمثلها، وإلا خرجت عن كونها معجزة خارقة للعادة وللنواميس الطبيعية. ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿**وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**قل سبحان ربي**﴾ **معناه أن هذه الأشياء ليس في طاقة البشر أن يأتي بها وأن**

١- انظر السيد كاظم الحائري: الإمامة وقيادة المجتمع - ص ١٢٦ .

يفعلها.. كما لم يقدر من كان قبلي من الرسل، والله تعالى إنما يُظهر الآيات المعجزة على حسب المصلحة [1].

فأنت ترى، أن الآية المباركة نفت عن أشرف خلق الله، وهو رسوله محمد (ص) القدرة على الإتيان بالمعاجز، لأنها خارجة عن طاقة البشر، ولا قدرة له عليها، ففعل مثل هذه المعاجز خارج عن حدود القدرة البشرية، ومنحصر في الله سبحانه. ولأجل هذا تنحصر الولاية التكوينية بالله وحده. ودليل ذلك أيضاً قوله تعالى: **﴿وان ألق عصاك﴾** يقول الطبرسي: «**لأنهم - اي السحرة - لما رأوا تلك الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة في العصا، علموا أنه أمر سماوي لا يقدر عليه غير الله، فمن تلك الآيات قلب العصا حية، ومنها أكلها حبالهم وعصيهم مع كثرتها.. إلى قوله: وكل من هذه الأمور يعلم كل عاقل أنه لا يدخل تحت مقدور البشر..**» [2].

ويقول الطباطبائي: **النبي (ص) بشر رسول غير قادر من حيث نفسه على شيء من الآيات التي يقترحون عليه، وإنما الأمر إلى الله سبحانه، إن شاء أنزلها وإن لم يشأ لم يفعل، قال تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله﴾ وقال حاكياً عن قوم نوح: ﴿ قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين**

١- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٦ - ص ٥٦٩ .
٢- نفس المصدر: جـ ٤ - ص ٥٧٣ .

قال إنما يأتيكم به الله إن شاء» وقال: ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ [1]. أي من فعله وصنعه وأمره.

ويقول أيضاً: « **كما أن إتيانهم - الأنبياء (ع) - بالمعجزات فيما أتوا بها ليس عن قدرة نفسية فيهم يملكونها لأنفسهم، بل بإذن من الله تعالى وأمره قال تعالى: ﴿سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾، جواباً عما اقترحوه عليه من الآيات، وقال: ﴿قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين﴾** [2].

يقول السيد عبدالأعلى السبزواري في تفسير قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ الأنفال، ٧١ ، «**ولا يختص بخصوص الرمي فقط بل هو جار في جميع معجزات الأنبياء وخوارق عادات الأولياء، لأن إبراز المعجزة وخارق العادة على أيديهم له دخل في نظام التكوين، كما أن التشريع كذلك، بل هو غاية نظام التكوين**» [3].

ويقول ناصر مكارم الشيرازي: «**فإننا نعلم أن المعجزة من عمل الخالق جل وعلا، وليست من عمل الرسول (ص) ، في حين يظهر واضحاً من كلامهم أنهم كانوا يعتبرون المعجزة من فعله (ص) .. الرسول (ص) كان يعتقد بأن عليه أن يزيل هذه الأوهام من عقولهم، ويثبت لهم بأنه ليس هو الله ولا هو شريكه، والمعجزة من الله دون سواه ..**» [4].

١- الطباطبائي: الميزان - جـ ١٩ - ص ٦٤ .
٢- نفس المصدر: جـ ١٨ - ص ١٩١ .
٣- السبزواري. مواهب الرحمن - جـ ١ - ص ١١٦ .
٤- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل - جـ ٩ - ص ١٢٩ .

ويقول الشيخ عبد الله نعمة: «.. **بأن يظهر الله على يدي هذا الشخص «النبي» «المعجزة»، وهو ما يتحدى طاقة البشر وقدراتهم، ويكون استثناء من اطراد قانون الطبيعة، وخرقاً لها.. ومن هنا يسهل فهم المعجز الذي هو خرق لقانون الطبيعة ما دام موجِد العالم هو الذي وضع للطبيعة قوانينها**»[1]. إلى غير ذلك من الأدلة التي تثبت، أن المعاجز من صنع الله وفعله، تقدم ذكرها بما لا مزيد عليه، وهذا يبطل القول، من أن الإمام (ع) يخرق أحياناً نواميس الطبيعة، ويأتي بما يسمى بالمعجز.

الثاني: وأما قوله: «**فيشق القمر أو يجعل الحصى تسبح، ويمنع النار عن الإحراق، وما إلى ذلك من الأمور التي هي خرق لقوانين الطبيعة، فإن سمّي هذا بالولاية التكوينية، فهو معقول ومقبول وثابت في الكتاب والسنة المتواترة..**»، فهو مردود :

أما **أولاً**: فإنه لا يخلو القول من أن شق القمر، وتسبيح الحصا، إما أن تكونا من معاجز رسول الله (ص) ، أو لا ، فإن كانتا من معاجز رسول الله (ص) ، فلا بد من تطبيق معنى المعجز عليها، وبالتالي تكون من فعل الله وصنعه، وليست من فعل رسول الله (ص) ولا صنع له فيها، فيبطل قوله: «**فالإمام يخرق أحياناً نواميس الطبيعة ويأتي بالمعجز، فيشق القمر، ويجعل الحصى تسبح**»، وكل ذلك ظاهر البطلان، لخروجه عن حدود القدرة البشرية والنواميس الطبيعية المختصة بالله سبحانه، كما

١- عبد الله نعمة: عقيدتنا - ص ٢٨٩، ٢٩٠ .

أنها خارجة عن مفهوم المعجزة، ولهذا يقول المجلسي قدس سره: «**أن الله تعالى يفعلها - أي المعاجز - مقارناً لإرادتهم، كشق القمر وإحياء الموتى، وقلب العصا حية، وغير ذلك من المعجزات، فإن جميعها إنما يقع بقدرته سبحانه..**»[1]. فوقوع هذه المعاجز هي من فعل الله لا من فعل الإمام أو النبي عليهما السلام.

وأما إذا قلنا إن هذه المذكورات ليست بمعاجز، فالقول فيها أوضح، فتكون من فعل الله سبحانه أيضاً، والقول الأول هو الثابت.

وثانياً: أما قوله: «**ويمنع النار عن الإحراق**» فهذا لا دليل عليه، بل الدليل ضده، لأن منع النار من الإحراق من فعل الله سبحانه مقروناً بدعاء النبي (ص) أو الإمام (ع) أحياناً، ودليل ذلك قوله تعالى كما في قصة إبراهيم (ع) : ﴿**يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم**﴾ ، كما سنشير إلى ذلك عند كلامنا عن الأدلة المثبتة لانحصار الولاية التكوينية بالله سبحانه، ونفيها عن غيره إن شاء الله.

الثالث: وأما قوله: «**فلا شك ولا ريب أن الأئمة (ع) أظهروا من المعاجز ما لا يُحصى..**» ، فهو لا شك فيه ولا ريب، فإن الأئمة صلوات الله عليهم، أظهروا من المعاجز الباهرة، في مقام التحدّي، ما لا يحصى عدّه، إكراماً لهم من الله سبحانه وتصديقاً لإمامتهم (ع)، فهم خيرة خلق الله، وأشرف عباده بعد رسوله

١- المجلسي: مرآة العقول - جـ ٣ - ص ١٤٢، ١٤٣ .

(ص)، وقد أظهر الله سبحانه على أيديهم من خوارق العادات وكثيراً من المعجزات، وكل ذلك من فعل الله سبحانه وصنعه، أجراها على أيديهم الكريمة في مقام التحدي والمنازلة، لا في مقام اللهو واللعب، تصديقاً لإمامتهم (ع)، فالكتاب والسنة المتواترة، على ظهور هذه المعاجز على أيديهم، مما لا شك فيه، ولكن لا بد من تطبيق معنى المعجز عليها، وأنها من فعل الله يجريها على أيديهم لئلا يكونوا شركاء مع الله سبحانه في فعله وقدرته وصنعه.

وملخص ما تقدم :

١- أن المعجزة ، ما كانت خارجة عن حدود القدرة البشرية، وهي من فعل الله سبحانه وصنعه، يجريها على أيدي أنبيائه ورسله، مع كونها خارقة للنواميس الطبيعية، في مقام التحدي تصديقاً لهم في دعواهم.

٢- أن جميع المعاجز التي جاء بها الأنبياء من آدم (ع)، حتى خاتم الأنبياء (ص)، مثل معاجز إبراهيم وموسى وعيسى ورسول الله صلوات الله عليهم، كلها من فعل الله وصنعه، ولا صنع لهم فيها، ولا قدرة لهم عليها، مثل: قلب العصا حية، واليد البيضاء، وخلق الطين طيراً، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وغير ذلك من معاجزهم (ع)، فإذا صدق على الجميع بأنها معجزة، فإنه لا محالة تكون من فعل الله سبحانه يجريها على أيديهم

تصديقاً لدعواهم.

٣- تأكيد القرآن الكريم في كثير من آياته المباركة، أن الآيات والمعاجز هي من فعله سبحانه، خارجة عن قدرة البشر، بل في بعضها نفي لمزاعم من يدعي أن المعجزة من فعل الأنبياء (ع)، وهذا ما سنوضحه عند التعرض للآيات الدالة على انحصار الولاية التكوينية بالله سبحانه.

٤- انحصار الولاية التكوينية وحق التصرف بالله سبحانه، فهو المتصرف في عالم الإيجاد والإحياء والإماتة والخلق والرزق، وكل شيء في عالم الوجود، فهو خاضع لولايته التكوينية، ونفيها عن غيره من الملائكة والأنبياء والرسل والأوصياء (ع)، كما سنشير إليه إن شاء الله.

من العرض السابق يظهر بطلان قول القائل: **«لا إشكال في الولاية التكوينية للأنبياء والأئمة (ع) بل للأولياء المقربين، والقرآن أكبر شاهد على ذلك، حيث تعرض لموارد كثيرة من معاجز الأنبياء، كما ورد في سورة آل عمران الآية ٤٩: ﴿أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبريء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على الولاية التكوينية بالصراحة. وأما الروايات فحدّث ولا حرج. ولا يكون ذلك إلا بإذنه عز وجل، كما صرّحت الآية الشريفة بذلك، والذي ينكر الولاية التكوينية إما جاهل، والجاهل عذره جهله، وإما استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر**

الله عز وجل».

أقول : ويرد على ذلك:

أولاً : أما استشهاده بالآية الكريمة، فهو استشهاد في غير محله، لأن خلق الطين طيراً، إن كان من معجزات عيسى (ع)، فهو من فعل الله سبحانه لا من فعل عيسى (ع) حتى تثبت له الولاية التكوينية. لأن المعجزة، ما يعجز البشر عن الإتيان بها، فهي خارجة عن حدود القدرة البشرية، كما سبق ذكره في معنى المعجز، والآيات الدالة على أن المعاجز من فعل الله سبحانه، ولا صنع للأنبياء والأولياء فيها. وإن لم تكن من معجزات عيسى (ع)، فهي كذلك من فعل الله دون عيسى (ع).

وثانياً : سوف يأتي الحديث عن معجزة عيسى (ع) عند الكلام عن الأدلة التي تثبت الولاية التكوينية لله وتحصرها فيه سبحانه، وتنفيها عن غيره، ورأي مفسري الشيعة في ذلك ليظهر بطلان استدلال القائل بالولاية التكوينية للأنبياء والأوصياء بهذه الآية.

وثالثاً : أما قوله «**والذي ينكر الولاية التكوينية إما جاهل. والجاهل عذره جهله، وإما استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر الله عز وجل**». ونحن ذكرنا فيما تقدم أقوال العلماء في الولاية التكوينية والتشريعية، وأنهم ذهبوا إلى حصر الولاية التكوينية بالله عز وجل ونفوها عن غيره، فهؤلاء الأعلام رضوان الله عليهم في رأي القائل بالولاية التكوينية للأنبياء والأئمة (ع)، إما

جهلة، والجاهل عذره معه، وإما استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله سبحانه. هذا ما أردنا التنبيه إليه في بعض ملاحظاتنا.

أدلة انحصار الولاية التكوينية في الله سبحانه

نذكر هنا مجموعة من الأدلة التي تدل على انحصار الولاية التكوينية بالله تعالى، وأن غير الله لا يقدر على صنع شيء لأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، وأن مفاد هذه الأدلة هو القدرة المطلقة لله من حيث الخلق والإحياء والإماتة، وهذه القدرة تنحصر بالله سبحانه، وهي لا تقبل النقل ولا التفويض، ولو في وقت من الأوقات، وبالتالي تدل على حصر الولاية التكوينية بالله سبحانه ونفيها عن غيره من الأنبياء والأئمة (ع).

الدليل الأول

وهذا الدليل ورد بصيغتين نذكر كلاً منهما، ثم نحدد المعنى، كما ورد عن مفسري الشيعة ليكون أقرب إلى الاستدلال على انحصار الولاية التكوينية بالله وحده، ودفع الشبهات التي قيلت حول معنى الآيتين ممن قال بالولاية التكوينية للأنبياء والأئمة (ع)، وبهذا يظهر عدم صحة استدلالهم على الولاية التكوينية للأئمة (ع) بهاتين الآيتين.

الآية الأولى : قال تعالى: **﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبريء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في**

ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ آل عمران، ٤٩ .

الآية الثانية : قال تعالى: ﴿ وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبريء الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين﴾ المائدة،١١٠ .

إن تحديد مفردات الآيتين يسهل علينا فهم الآيتين والاستدلال بهما على انحصار الولاية التكوينية بالله سبحانه ونفيها عن الأنبياء والأئمة (ع). وهذه المفردات هي : معنى الخلق ومن الخالق ؟ ومعنى ﴿جئتكم بآية من ربكم﴾، و ﴿إذ جئتهم بالبينات﴾، ومعنى ﴿بإذن الله﴾ ، ثم الاستدلال بالآيتين كما جاء عن مفسري الشيعة، وبعدها نبين بطلان من استدل بالآيتين على الولاية التكوينية للأنبياء والأئمة (ع) .

أولاً: معنى الخلق ومن الخالق

«الخلق تارة يأتي بمعنى التقدير والتصوير والصنع، كما في قوله تعالى: ﴿أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير﴾ معناه، اني أقدر لكم وأصور لكم من الطين مثل صورة الطير، وهذا التقدير والتصوير مما يدخل في مقدور العباد، مثل قوله تعالى: ﴿تبارك الله أحسن الخالقين﴾ ، أي أحسن المصورين والمبدعين، وإلا جعلنا

مع الله شركاء في الخلق، لو حملنا كلمة «الخالقين» على معنى إيجاد شيء من لا شيء، وأن هناك خالقين غير الله، وهو سبحانه أحسنهم وهذا المعنى يؤدي إلى الإشراك بالله تعالى» [1].

يقول الشيخ الطوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿أني أخلق لكم من الطين﴾ ، «المعنى والمراد بالخلق التقدير دون الإحداث، وأما التصوير والنفخ ففعله - أي فعل عيسى - لأنه مما يدخل تحت مقدور القدر، وليس كذلك انقلاب الجماد حيواناً فإنه لا يقدر على ذلك أحد سواه تعالى» [2].

وتارة يأتي الخلق بمعنى الإيجاد والاختراع، أي إيجاد شيء من لا شيء، المعبر عنه «بكن فيكون» وهذا مما لا يدخل تحت مقدور البشر، وإنما هو من فعل الله تعالى. يقول الطبرسي: «وأصل الخلق التقدير، وفي هذا دليل على أن اسم الخلق قد يطلق على فعل غير الله تعالى، إلا أن الحقيقة في الخلق لله سبحانه فقط، فإن المراد من الخلق إيجاد الشيء مقدراً تقديراً لا تفاوت فيه، وهذا إنما يكون من الله سبحانه وتعالى، ودليله قوله تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾» [3].

ويقول أيضاً: «الخلق هو الإحداث للشيء على تقدير من غير احتذاء على مثال، ولذلك لا يجوز إطلاقه إلا في صفات الله سبحانه، لأنه لا أحد سوى الله يكون جميع أفعاله على ترتيب

١- علاء الدين القزويني: مسائل عقائدية - ص ١٥٧ .

٢- الطوسي: التبيان - جـ ٣ - ص ٤٦٨ .

٣- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٧ - ص ١٣٥ .

من غير احتذاء على مثال» [1].

ويقول أيضاً: «فإن أكثر أصحابنا لا يطلقون على غيره سبحانه أنه يخلق أصلاً، فضلاً عن أن يقولوا إنه يخلق كخلق الله، ولكن يقولون إن العباد يفعلون ويحدثون، ومعنى الخلق عندهم الاختراع، ولا يقدر العباد عليه، ومن جوّز منهم إطلاق لفظ الخلق في أفعال العباد، فإنه يقول إنه سبحانه إنما نفى أن يكون أحد يخلق مثل خلقه، ونحن لا نقول ذلك، لأن خلق الله اختراع وإبداع، وأفعال غيره مفعولة في محل القدرة عليها ولا يقدر على اختراع الأفعال في الغير على وجه من الوجوه إلا الله سبحانه الذي أبدع السماوات والأرض وما فيهما، وينشيء الأجناس من الأعراض التي لا يقدر عليها غيره» [2]. «وبناء على هذا، فإن الخلق كله من الله تعالى وحده، وهو الذي يخلق الخلق ويوجد كل موجود ويحيي ويميت وهو مالك كل شيء، فلا يوجد مؤثر آخر في عالم الخلق غير الله تعالى» [3].

يقول الطباطبائي: ﴿لا إله إلا هو يحيي ويميت﴾ ، ﴿يحيي﴾ الأموات ﴿ويميت﴾ الأحياء، لا يقدر أحد على الإحياء والإماتة سواه، لأنه لو قدر أحد على الإماتة لقدر على الإحياء، فإن من شأن القادر على الشيء أن يكون قادراً على ضده» [4].

١- نفس المصدر: جـ ١- ص ٢١٥ .

٢- نفس المصدر: جـ ٦ - ص ٣٦٩ .

٣- مرتضى العسكري: عقائد الإسلام من القرآن - جـ ١ - ص ٤٣ .

٤- الطباطبائي: الميزان - جـ ٤ - ص ٥٥ .

ويقول الكراجكي: «**والقتل عند جميع أهل العدل من مقدورات العباد، والموت لا يقدر عليه أحد إلا الله**» [1]. ولهذا يقول الشيخ المفيد: «**فالموت.. وهو من فعل الله تعالى ليس لأحد فيه صنع ولا يقدر عليه أحد الا الله تعالى، قال الله سبحانه: ﴿وهو الذي يحيي ويميت﴾ فأضاف الأحياء والإماتة إلى نفسه**» [2]. «**وهكذا يصرح القرآن الكريم بأن كل أنواع خلق الخلق مخصوص بالإله الواحد.. فهو الإله الحقيقي للعالم ليس له شريك في قدرته وأفعاله، وهو أحد لا شبيه له**» [3].

يقول الشيخ الأنصاري: «**ويؤيده - أي ويؤيد حرمة تصوير ذوات الأرواح - أن الظاهر أن الحكمة في التحريم هي حرمة التشبه بالخالق في إبداع الحيوانات وأعضائها على الأشكال المطبوعة التي يعجز البشر عن نقشها على ما هي عليه فضلاً عن اختراعها**» [4].

ويقول الفيض الكاشاني في تفسير قوله تعالى: ﴿**وأنه هو أمات وأحيا**﴾، «**لا يقدر على الإماتة والإحياء غيره**» [5]. ولهذا يقول السيد عبدالله شبر في تفسير الآية: «**بخلقه الموت والحياة ولا قدرة لغيره عليهما**» [6]. ويقول المشهدي: ﴿**وأنه هو أمات وأحيا**﴾،

١- الكراجكي: كنز الفوائد - جـ ١ - ص ٦٧ .
٢- الشيخ المفيد: تصحيح الاعتقاد - ص ٧٤ .
٣- العسكري: عقائد الإسلام - جـ ١ - ص ٤٤ .
٤- إيصال الطالب إلى المكاسب - جـ ٢ - ص ٤٦ .
٥- الفيض الكاشاني: الصافي - جـ ٥ - ص ٩٦ .
٦- عبدالله شبر: الجوهر الثمين - جـ ٦ - ص ١١١ .

ولا يقدر على الإماتة والإحياء غيره، فإن القاتل ينقض البنية، والموت يحصل عنده بفعل الله على العادة، [1]. ولهذا جاء عن الإمام الباقر (ع) أنه قال: «**الحياة والموت خلقان من خلق الله،** [2].

ويقول الطوسي: ﴿**وانه هو أمات وأحيا**﴾ **معناه أنه تعالى الذي يخلق الموت فيميت به الأحياء لا يقدر على الموت غيره، لأنه لو قدر على الموت غيره لقدر على الحياة، لأن القادر على الشيء قادر على ضده، ولا أحد يقدر على الحياة إلا الله، وقوله** ﴿**وأحيا**﴾ **أي هو الذي يقدر على الحياة التي يحيي بها الحيوان، لا يقدر عليها غيره من جميع المحدثات** [3] . ولهذا يقول الطبرسي: ﴿**وأنه هو أمات وأحيا**﴾ **اي خلق الموت فأمات به الأحياء، لا يقدر على ذلك غيره، لأنه لو قدر على الموت لقدر على الحياة فإن القادر على الشيء قادر على ضده، ولا يقدر أحد على الحياة إلا الله تعالى** [4] . ويؤكد ذلك ما يقوله الطباطبائي: «**أن الخلق والإيجاد منه تعالى لا يشاركه في ذلك أحد، فإذا سُلّم ذلك، ومن المسلّم أن الرزق مثلاً خلق وكذا سائر الشؤون لا تنفك عن الخلق، رجع الأمر كالخلق إليه تعالى..**» [5] . ويقول أيضاً: «**إن الخلق هو الصنع والإيجاد ينتهي إليه تعالى كما قال:** ﴿**الله خالق كل**

١- المشهدي، كنز الدقائق - جـ ١٠ - ص ١٠٨ .
٢- الفيض الكاشاني: الصافي - جـ ٥ - ص ٤٠ وانظر عبدالله شبر - الجوهر الثمين - جـ ٦ - ص ٢٤٩
٣- الطوسي: التبيان - جـ ٩ - ص ٤٣٤، ٤٣٥ .
٤- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٩ - ص ٢٣٢ .
٥- الطباطبائي: الميزان - جـ ١٦ - ص ١٩٥ .

شيء﴾، فلا مؤثر في الوجود بحقيقة التأثير غيره تعالى» [1].

وقد تبين مما تقدم، أن الخلق الذي هو بمعنى الإيجاد، وكذلك الإحياء، منحصر في الله وحده لا يشاركه فيه أحد، وعلى هذا، لو نسبت كلمة «الخلق» إلى الله سبحانه، فيكون معناه الإيجاد والاختراع، أي إيجاد شيء من لا شيء، وأما إذا نسبت إلى غير الله سبحانه، فلا بد من حملها على معنى الصنع والتصوير الذي هو من مقدور العباد، ومن هنا تحمل لفظة الخلق المنسوبة في الآيتين إلى عيسى (ع) إلى المعنى الثاني الذي هو مقدور للعباد، دون المعنى الأول الذي هو ليس مقدوراً للعباد، وعلى هذا، فقوله تعالى: **﴿فيكون طيراً﴾** من فعل الله سبحانه، وليس من فعل عيسى (ع)، وبهذا تنتفي الولاية التكوينية للأنبياء والأئمة (ع)، وتنحصر في الله سبحانه.

ثانياً: معنى ﴿جئتكم بآية من ربكم﴾ و﴿إذ جئتهم بالبينات﴾

إن تحديد معنى «الآية» في قوله تعالى: **﴿أني قد جئتكم بآية من ربكم﴾** ومعنى «البينات» في قوله تعالى: **﴿إذ جئتهم بالبينات﴾**، يحل لنا الإشكالات التي أوردت حول الآيتين المباركتين. ونحن ذكرنا فيما تقدم في مبحث المعجزة، وأثبتنا هناك بالدليل، أن المعاجز كلها من فعل الله سبحانه وصنعه، وأثبتنا أن من جملة المعاجز، معاجز عيسى (ع) من إحياء الموتى

١- نفس المصدر: ص ٦٦، ٦٧.

وخلق الطين طيراً وإبراء الأكمه والأبرص، وغير ذلك، كلها معاجز لعيسى (ع)، وذكرنا هناك أن المعجزة من فعل الله وليس من فعل البشر، لأنها خارجة عن حدود القدرة البشرية، ولهذا فقوله تعالى: **﴿أني قد جئتكم بآية من ربكم﴾** معناه، جئتكم بمعجزة من ربكم أني أخلق، فخلق الطين طيراً، معجزة، وكل معجزة فهي من فعل الله، فالنتيجة، فخلق الطين طيراً من فعل الله. وهذا القياس من الشكل الأول، وعلى هذا يثبت أن خلق الطين طيراً في الآيتين من الله سبحانه، وليس من عيسى (ع). وكذلك معنى «البينات» في الآية الثانية، يراد بها المعجزات، والكلام فيها كالكلام في الآية الأولى. ودليل ذلك قوله تعالى: **﴿وإذا جاءتهم آية﴾ «أي دلالة معجزة من عند الله»** [1]. ولهذا يقول الشيخ الطوسي: **«الآية هي المعجزة الدالة على نبوته، وهو كل ما يعجز الخلق عن معارضته ومقاومته»** [2] . ويقول أيضاً: **﴿ولقد جاءكم موسى بالبينات﴾ الدالة على صدقه.. وسماها بينات، لظهورها وتبينها للناظرين إليها أنها معجزة لا يقدر على أن يأتي بمثلها بشر** [3] . ومن هنا تنتفي الولاية التكوينية عن الأنبياء والأئمة (ع) وتنحصر بالله سبحانه.

١- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٤ - ص ٥٧٣ .
٢- الطوسي: التبيان - جـ ٤ - ص ٥١٩ .
٣- نفس المصدر - جـ١ - ص ٣٥٢ .

ثالثاً: معنى ﴿بإذن الله﴾:

إن كلمة «إذن» تارة تأتي ويراد بها الأمر، فيكون المعنى **﴿بإذن الله﴾** أي بأمر الله سبحانه، وأمره سبحانه، إما أن يكون تكوينياً، أو تشريعياً، وكل منهما منحصر به تعالى، وأخرى يراد بها الفعل، فيكون المعنى **﴿بإذن الله﴾** أي بفعل الله، فقوله تعالى: **﴿بإذني﴾** أي بفعلي وأمري وكذلك قوله تعالى: **﴿بإذن الله﴾** أي بأمر الله وفعله. ودليل ذلك قوله تعالى: **﴿فأنزله على قلبك بإذن الله﴾** أي بأمره وفعله، وقوله تعالى: **﴿وما هم بضارين من أحد إلا بإذن الله﴾** أي بأمره وفعله، مع وجود القرائن الدالة على أن المراد، بإذني، أو بإذن الله، هو فعله وأمره سبحانه، أن الخلق والمعجز في الآيتين من فعله وصنعه تعالى. ولهذا يقول السيد كاظم الحائري: **«إن كلمة ﴿بإذني﴾ أو كلمة ﴿بإذن الله﴾ في هذه الآيات المباركات هي على منوال الآية الأخرى التي تقول: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله﴾، الذي يعني أن الموت من قبل الله تعالى.. وكذلك في الآيات الماضية حينما يقول: ﴿وأبريء الأكمه والأبرص﴾ ، ﴿وأحيي الموتى بإذن الله﴾، أي أن الله تعالى يبريء الأكمه والإبرص ويحيي الموتى..»**[1]. وعلى هذا فالآيات تدل على أن الولاية التكوينية منحصرة في الله سبحانه، لأن الإذن في الآيتين بمعنى الأمر التكويني.

١- السيد كاظم الحائري: الإمامة وقيادة المجتمع - ص ١٣٠ .

رابعاً:الاستدلال بالآيتين على انحصار الولاية بالله سبحانه

بعد أن حددنا مفردات الآيات، ظهر لنا أن الخلق الوارد في الآيتين هو من فعل الله سبحانه، لا من فعل عيسى (ع)، حتى تكون دليلاً على الولاية التكوينية للأنبياء والأئمة (ع)، وبهذا تنحصر الولاية التكوينية في الله وحده، وتنفيها عن غيره مطلقاً.

بقي علينا أن نشير إلى ما جاء عن علماء الشيعة في تفسير الآيات، ليكتمل بذلك الدليل على ولاية الله المطلقة في الخلق والإيجاد والتصرف في عالم الكون من دون أن يفوّض أو يوكل بعض شؤونه سبحانه إلى ملائكته أو أنبيائه أو أوصيائه، لا على نحو الاستقلال، ولا على نحو الشركة، لئلا نجعل مع الله شركاء في أفعاله وهو الغني المطلق.

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير﴾** الآية.

يقول الشيخ الطوسي في تفسير الآية: «**والمراد بالخلق، التقدير دون الإحداث، يقال في التفسير أنه صنع من الطين كهيئة الخفاش، ونفخ فيه فصار طائراً.. ومعنى ﴿فأنفخ فيه﴾ يعني أنفخ فيه الروح وهو جسم رقيق كالريح، وهو غير الحياة، لأن الجسم إنما يحيا بما يفعله الله تعالى فيه من الحياة، لأن الأجسام كلها متماثلة يحيي الله منها ما يشاء. وإنما قيد قوله: ﴿فيكون طيراً بإذن الله﴾، ولم يقيد قوله: ﴿أخلق لكم من الطين**

كهيئة الطير﴾ بذكر إذن الله، لينبه بذكر الإذن أنه من فعل الله دون عيسى، وأما التصوير والنفخ ففعله، لأنه مما يدخل تحت مقدور القدر، وليس كذلك انقلاب الجماد حيواناً فإنه لا يقدر على ذلك أحد سواه تعالى. وقوله تعالى: ﴿وأحيي الموتى بإذن الله﴾، على وجه المجاز أضافه إلى نفسه وحقيقته أدعو الله بإحياء الموتى فيحييهم الله فيحيون بإذنه..»[1]. وهذا دليل على أن الإحياء من فعل الله سبحانه دون عيسى (ع) ولهذا تنتفي الولاية التكوينية عن الأنبياء.

وفي المجمع للطبرسي في تفسير الآية: «معناه، وهذه الآية، أني أقدر لكم وأصور لكم من الطين مثل صورة الطير، ﴿فأنفخ فيه﴾ أي في الطير المقدر من الطين.. ﴿فيكون طيراً بإذن الله﴾، وقدرته، وقيل بأمر الله تعالى، وإنما وصل قوله ﴿بإذن الله﴾، بقوله ﴿فيكون طيراً﴾ دون ما قبله، لأن تصور الطين على هيئة الطير والنفخ فيه مما يدخل تحت مقدور العباد، فأما جعل الطين طيراً حتى يكون لحماً ودماً وخلق الحياة فيه فمما لا يقدر عليه غير الله، فقال ﴿بإذن الله﴾، ليعلم أنه من فعله تعالى وليس بفعل عيسى،﴿وأبريء الأكمه والأبرص﴾ .. وإنما كان يداويهم بالدعاء على شرط الإيمان، ﴿وأحيي الموتى بإذن الله﴾ إنما أضاف الإحياء إلى نفسه على وجه المجاز والتوسع، ولأن الله تعالى كان يحيي الموتى عند دعائه.. وإنما خصّ عيسى (ع) بهذه

١- الطوسي: التبيان - جـ ٢ - ص ٤٦٨ .

المعجزات، لأن الغالب كان في زمانه الطب فأراهم الآيات من جنس ما هم عليه لتكون المعجزة أظهر، كما أن الغالب لما كان في زمن موسى (ع) السحر أتاهم من جنس ذلك بما أعجزهم عن الإتيان بمثله.. ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي حجة ومعجزة ودلالة» [1].

يقول محمد جواد مغنية في تفسيره: ﴿أني أخلق لكم من الطين﴾ أي أصور شيئاً مثل صورة الطير، ﴿فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله﴾ لا بقدرتي، ﴿وأبريء الأكمه﴾ من يولد أعمى، ﴿والأبرص﴾، ﴿وأحيي الموتى بإذن الله﴾ بقدرته وأمره، وكرر ليسد الباب على كل متقول بغير حق، ﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾ وهذا الإخبار بالغيب ليس من عيسى (ع) بل بوحي من الله إليه ﴿إن في ذلك﴾ إشارة إلى المعجزات المذكورة، ﴿لآية لكم﴾ واضحة على نبوتي» [2].

وجاء في تفسير الصافي للفيض الكاشاني: ﴿أني قد جئتكم بآية من ربكم﴾، «حجة شاهدة على صحة نبوتي، ﴿أني أخلق لكم﴾، أقدر وأصور شيئاً، ﴿من الطين كهيئة الطير﴾ مثل صورته، ﴿فأنفخ فيه فيكون طيراً﴾ حياً طياراً، ﴿بإذن الله﴾ بأمره، نبّه على أن إحياءه من الله لا منه.. ﴿وأبريء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله﴾ دفعاً لوهم الألوهية، فإن الإحياء ليس من جنس الأفعال البشرية» [3].

---

١ الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٢ - ص ٥٧٠، ٥٧١ .

٢- محمد جواد مغنية: التفسير المبين - ص ٧٠، ٧١ .

٣- الفيض الكاشاني: الصافي - جـ ١ - ص ٣٣٧ .

وجاء في الجوهر الثمين: «فيكون طيراً» فيصير حياً طياراً، «بإذن الله» بأمره، فإحياؤه من الله تعالى لا منه، «وأبريء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله»، كرّر لدفع توهم الألوهية، فإن الإحياء ليس من جنس الأفعال البشرية»[1].

ولهذا يقول الطباطبائي: «**«بإذن الله» سيق للدلالة على أن صدور هذه الآيات المعجزة منه (ع) مستند إلى الله.. ولذا كان يقدر كل آية يخبر بها عن نفسه مما يمكن أن يضلوا به كالخلق وإحياء الموتى بإذن الله.. الآيتين السابقتين، أي الخلق والإحياء، فإنها فعل الله بالحقيقة ولا ينسبان إلى غيره إلا بإذنه.. «وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم»، وهذا إخبار بالغيب المختص بالله تعالى، ومن خصّه من رسله بالوحي..**»[2].

ويقول الشيخ محمد جواد البلاغي في تفسيره: «**أني أخلق» وأصوّر، «لكم من الطين كهيئة الطير»، وليس في ذلك آية، فإن تصوير الطين مقدور للبشر، «فأنفخ فيه فيكون طيراً» حقيقياً، «بإذن الله» وخلقه له طيراً، والحجة بإظهار الله لهذا المعجز على يد المسيح، «وأبريء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله» وفعله، وإنما نسب الإبراء والإحياء إليه، لأنه السبب ببركته ودعائه في ظهور هذا المعجز من الله على يده، وفي جمع الموتى دلالة على تعدد صدور الإحياء من الله بسببه**»[3].

١- عبدالله شبر: الجوهر الثمين - جـ ١ - ص ٢٢٣ .

٢- الطباطبائي: الميزان - جـ ٣ - ص ١٩٩، ٢٠٠ .

٣- محمد جواد البلاغي: آلاء الرحمن - ص ٢٨٥ .

ويقول الشيخ محمد السبزواري في تفسير الآية: «**وحاصل المعنى أن قوله ﴿فأنفخ فيه﴾ يعني فأريد كونه طيراً، فيصير طيراً بإذن الله ومشيئته، ويطير كغيره من الطيور، أما التعليق ﴿بإذن الله﴾ فلينبه إلى أن بث الحياة ليس من مقدوري، وإنما هو فعله تعالى، وهو رد على من زعم أنه (ع) هو الله، ولذا بين أنه لا يقدر على إيجاد ذي روح، فكيف يقدر على إيجاد الكون وما فيه؟ فالقادر على ذلك هو الله فعلاً، لا المخلوق الضعيف المحتاج الذي هو كل على مولاه**» [1].

وجاء في تفسير كنز الدقائق في تفسير الآية: «**﴿أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير﴾ المعنى: أقدر وأصور لكم مثل صورة الطير، ﴿فأنفخ فيه﴾.. في ذلك المثل، ﴿فيكون طيرا﴾ فيصير طياراً، ﴿بإذن الله﴾ بأمره، ونبه به على أن إحياءه من الله لا منه**» [2]. وأمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، فالإذن في الآية هو الأمر، وأمره سبحانه فعله. **﴿وأبريء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله﴾. «كرره لدفع توهم الألوهية، فإن الإحياء ليس من جنس الأفعال البشرية**» [3].

وأما الروايات الدالة على أن الخلق والإحياء والإبراء في الآية الكريمة من الله سبحانه، فكثيرة نذكر جملة منها:

قال ابن السكيت لأبي الحسن الرضا (ع): «**لماذا بعث الله**

١- محمد السبزواري: الجديد في تفسير القرآن - جـ٢ - ص ٦٢ .
٢- محمد المشهدي: كنز الدقائق - جـ ٢ - ص ٩١ .
٣- نفس المصدر: جـ٢ - ص ٩٢ .

موسى بن عمران بيده البيضاء، والعصا، وآلة السحر، وبعث عيسى بالطب، وبعث محمداً (ص) بالكلام والخطب؟ فقال له أبو الحسن (ع) : إن الله تعالى بعث موسى.. إلى قوله (ع): **وإن الله تعالى بعث عيسى (ع) في وقت ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله تعالى بما لم يكن عندهم مثله»** [1]. فقوله (ع): «**فأتاهم من عند الله تعالى..**» دليل واضح على أن الخلق والإحياء والإبراء من الله سبحانه، وليس من فعل عيسى (ع)، وبهذا تنحصر الولاية التكوينية في الله، ونفيها عن غيره سبحانه.

وعن أبي عبدالله (ع) قال: «**إن عيسى ابن مريم جاء إلى قبر يحيى بن زكريا (ع) وكان سأل ربه أن يحييه له فدعاه فأجابه، وخرج إليه من القبر..**» [2] . فقوله (ع): **سأل ربه أن يحييه له فدعاه، يؤكد على أن الإحياء من الله لا من عيسى (ع)**. وفي رواية أخرى: «**.. فوقف عيسى (ع) ثم دعا الله عز وجل فانفرج القبر وخرج ابنها حياً**» [3] .

وفي الكافي عن أبي عبدالله (ع) قال: «**إن عيسى ابن مريم جاء إلى قبر يحيى بن زكريا (ع) وكان سأل ربه أن يحييه له، فدعاه فأجابه..**» [4] وهذا دليل آخر على أن الإحياء من الله

١- الحويزي: تفسير نور الثقلين - جـ ١ - ص ٣٤٢ . والمشهدي: كنز الدقائق - جـ ٢ - ص ٩٢ .
٢- نفس المصدر: ص ٣٤٢ .
٣- المشهدي: كنز الدقائق - جـ ٢ - ص ٩٣ .
٤- نفس المصدر: ص ٩٣ .

سبحانه وليس من عيسى (ع) .

هذه جملة من أقوال مفسري الشيعة حول الآية الأولى، وقد ظهر منها أن الخلق والإحياء والإبراء كلها من فعل الله سبحانه، لأنها خارجة عن حدود القدرة البشرية، وليست هي من فعل عيسى (ع)، وبهذا تثبت الولاية التكوينية لله تعالى، ونفيها عن الأنبياء والأئمة (ع).

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿**وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني**﴾ الآية.

يقول ناصر مكارم الشيرازي في تفسير هذه الآية: «**يستلفت النظر في هذه الآية أنها تكرر ﴿بإذني﴾ أربع مرات لكيلا يبقى مكان للغلو في المسيح عليه السلام وادعاء الألوهية له، أي أن ما كان يحققه المسيح (ع) بالرغم من إعجازه وإثارته الدهشة ومشابهته للأفعال الإلهية، لم يكن ناشئاً منه، بل كان من الله وبإذنه، فما كان عيسى سوى عبد من عبيد الله، مطيع لأوامره، وما كان له إلا ما يستمده من قوة الله الخالدة**»[1]. وهذا دليل ظاهر على أن الآية صريحة في إسناد الخلق والإبراء والإحياء إلى الله لا إلى عيسى (ع) وهو دليل على انحصار الولاية في الله دون سواه.

يقول الشيخ الطوسي في تفسيره: «**﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني﴾ والخلق هو الفعل المقدر على مقدار يعرفه**

١- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل - جـ ٤ - ص ١٧٥ .

الفاعل.. ومعنى ذلك، أنه خلق من الطين كهيئة الطير، أي تصور الطين بصورة الطير الذي تريد، وسماه خلقاً لأنه كان يقدره، وقوله ﴿بإذني﴾ أي تفعل ذلك بإذني وأمري، وقوله ﴿فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني﴾ معناه، أنه نفخ فيها الروح، لأن الروح جسم، ويجوز أن ينفخها المسيح (ع) بأمر الله.. وبيّن بقوله ﴿فتكون طيراً بإذني﴾ أنه إذا نفخ المسيح (ع) فيها الروح قلبها الله لحماً ودماً، وخلق فيها الحياة، فصارت طائراً بإذن الله وإرادته لا بفعل المسيح (ع)، فلذلك قال ﴿فتكون طيراً بإذني﴾، وقوله ﴿وتبريء الأكمه والأبرص بإذني﴾، معناه، أنك تدعوني حتى أبريء الأكمه، .. والأبرص.. ونسب ذلك إلى المسيح (ع) لما كان بدعائه وسؤاله»، وقوله ﴿وإذ تخرج الموتى بإذني﴾ أي اذكر إذ تدعوني فأحيي الموتى عند دعائك وأخرجهم من القبور حتى يشاهدهم الناس أحياء، وإنما نسبه إلى عيسى لما بيّنّا من أنه كان بدعائه.. إلى قوله: «وإذ أيدتك حين جئتهم بالبينات مع كفرهم وعتوهم.. ويجوز أن يكون - ذلك - بألطافه التي لا يقدر عليها غيره» [1]. وهذا دليل ثانٍ على كون الآية المباركة دالة على كون الخلق والإحياء والإبراء من فعل الله سبحانه دون عيسى (ع) .

ويقول محمد جواد مغنية في تفسير الآية: «.. وكرّر سبحانه بإذني أربع مرات للتأكيد على أن الخلق والإحياء والإبراء من الله لا من سواه، وإنما أظهر سبحانه هذه الأفعال على يد عيسى

١- الطوسي: التبيان - جـ ٤ - ص ٥٥، ٥٦ .

(ع) لتكون دليلاً على صدقه ونبوته» [1].

وجاء في تفسير مجمع البيان للطبرسي: ﴿ وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني﴾ أي واذكر ذلك أيضاً إذ تصوّر الطين كهيئة الطير الذي تريد أي كخلقته وصورته، وسماه خلقاً لأنه كان يُقدّره، وقوله ﴿بإذني﴾ أي تفعل ذلك بإذني وأمري، ﴿فتنفخ فيها﴾ أي تنفخ فيها الروح، لأن الروح جسم يجوز أن ينفخه المسيح بأمر الله، ﴿فتكون طيراً بإذني﴾ وبيّن بقوله ﴿فتكون طيراً بإذني﴾ أنه إذا نفخ المسيح فيها الروح قلبها الله لحماً ودماً ويخلق فيها الحياة فصارت طائراً بإذن الله، أي بأمره وإرادته لا بفعل المسيح، ﴿وتبريء﴾ .. ﴿الأكمه﴾ ﴿والأبرص﴾ ﴿بإذني﴾ أي بأمري، ومعناه أنك تدعوني حتى أبريء الأكمه والأبرص، ونسب ذلك إلى المسيح لما كان بدعائه وسؤاله، ﴿وإذ تخرج الموتى بإذني﴾ أي اذكر إذ تدعوني فأحيي الموتى عند دعائك وأخرجهم من القبور حتى يشاهدهم الناس أحياء، ونسب ذلك إلى المسيح لما كان بدعائه» [2].

ويقول الشيخ محمد السبزواري في تفسير الآية: « ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني﴾ الآية. أي حين تصور من الطين هيئة طير بإجازة مني، ثم تنفخ في تلك الصورة التي شكلتها فتصير طيراً ذا روح بأمري وإجازتي وقدرتي، فأجعلها

١- محمد جواد مغنية: التفسير الكاشف - جـ ٧ - ص ١٤٤ .

١- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٣ - ص ٢٢٧ .

قادرة على الطيران.. ﴿وتبريء الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني﴾ .. حيث ذكر أموراً فعلها عيسى (ع) ثم أسند توفيقه فيها إلى ذاته المقدسة.. إلى قوله: فمثل هذه الأمور الخارقة لا تصدر إلا عن الله عز وجل، ولذا أسندها إلى ذاته المقدسة المتعالية كيلا يقال بألوهية عيسى (ع)، وقد صرح سبحانه بها في قرآننا الكريم مكررة ليسد باب الاحتجاج على من ألهوه.. فإسناد هذه الخوارق إليه تعالى يقطع جهيزة كل خطيب، ويجعله بعد هذه الخوارق من نعم الله تعالى على عيسى ابن مريم عليهما السلام» [1].

وجاء في تفسير البرهان في تفسير الآية: «.. **وأن الله تعالى بعث عيسى (ع) في وقت ظهرت فيه الزمانات.. فأتاهم من عند الله تعالى بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيى لهم الموتى، وأبرء الأكمه والأبرص، بإذن الله وأثبت الحجة.. وأما إحياء الموتى، فكان بدعائه (ع)..»** [2].

وتجدر الإشارة هنا إلى ما يقوله السيد كاظم الحائري في مسألة الولاية التكوينية، واستشهاده بالآيات المباركة على بطلان من يرى الولاية التكوينية للأئمة (ع)، فهو يقول:

«إن التفويض له معنيان وشقّان، فتارة يفترض أن الله تعالى فوض العالم إلى عباده، وهو كأنما ترك العالم، وعباده يفعلون ما

١- الشيخ محمد السبزواري: الجديد في تفسير القرآن - جـ ٢ - ص ٥٢٥، ٥٢٦ .
٢- البحراني: البرهان - جـ ١ - ص ٥١٠ .

يريدون، وأخرى يفترض أن الله تبارك وتعالى، فوض العالم إلى قسم من عباده فقط، وهم المعصومون (ع)، وهذا التفويض بشقيه يخالف ظاهر الآيات المباركات التي تسند الأمور - دائماً ومباشرة - إلى الله تعالى، كما في الآيات التي أشرنا إليها، منها قوله تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾، وقوله تعالى: ﴿إن الله هو الرزاق﴾، وقوله تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾، وقوله تعالى: ﴿لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾، وما شابه ذلك. كما أن هناك آيات أخرى تقبل الحمل على نفس المعنى الذي ندعيه من قبيل قوله تعالى بالنسبة إلى المسيح (ع): ﴿ وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيه فتكون طيراً بإذني وتبريء الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني﴾، فالمقطع الأول: ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني﴾ وهو من القسم الذي ذكرناه من أن فعل البشر ينسبه إلى الله بالمعنى الذي شرحناه، فقد خلق من الطين كهيئة الطير، وكل إنسان يستطيع أن يخلق الطين كهيئة الطير، وهو فعل البشر، ومع ذلك فإن الله تعالى يقول: ﴿بإذني﴾ وكل ما قام به عيسى (ع) هو بإذن الله، من إبراء الأكمه والأبرص وإخراج الموتى وغير ذلك، كما أن الآية الأخرى تتحدث عن لسان عيسى (ع) ﴿أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبريء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾.

إن كلمة «بإذني» أو كلمة «بإذن الله» في هذه الآيات المباركات هي على منوال الآية الأخرى التي تقول: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله﴾، الذي يعني أن الموت من قبل الله تعالى، فهو الذي يميت النفس، وهو الذي يميت الإنسان، ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله﴾، وكذلك في الآيات الماضية حينما يقول: ﴿وأبريء الأكمه والأبرص﴾ ﴿وأحيي الموتى بإذن الله﴾، أي أن الله تعالى يبريء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، وما على عيسى (ع) إلا أن يطلب من الله تبارك وتعالى أن يبريء ويحيي، وعندها يبريء ويحيي سبحانه وتعالى». [1]

وملخص الدليل الأول: أن الآيات المباركة تحكي قصة عيسى (ع) وإتيانه بالمعاجز، فهي من عند الله سبحانه وفعله، وليست من فعل عيسى (ع) وعلى هذا فالآيتان تدلان على حصر الولاية التكوينية بالله سبحانه، وتنفيها عن الأنبياء والأئمة (ع). فاستشهاد البعض على ثبوت الولاية التكوينية بهذه الآيات في غير محله.

خامساً: بطلان من استدل بالآيتين على الولاية التكوينية للأئمة (ع)

حاول البعض أو يحاول أن يستشهد بقصة عيسى (ع) ومعاجزه على ثبوت الولاية التكوينية للأئمة (ع)، ويجعل من

١- السيد كاظم الحائري الإمامة وقيادة المجتمع - ص ١٢٩ - ١٣٠

الآيتين المتقدمتين شاهداً على ذلك، وإن كان استشهاده في غير **محله**، لمخالفة ذلك لما قدمناه من معنى المعجز الذي يظهره الله سبحانه على أيدي أنبيائه (ع)، على أن يكون المعجز خارقاً **للنواميس الطبيعية** ، خارجاً عن حدود القدرة البشرية، وهذا المعنى للمعجز مما اتفق عليه علماء الشيعة، والمعجز بهذا المعنى هو من فعل الله وصنعه لا من صنع البشر وفعلهم، لأنه خارج عن قدرتهم، ولهذا يحاول البعض أن يجعل من معاجز الأنبياء (ع) التي هي فعل الله شاهداً على ثبوت الولاية التكوينية للأئمة (ع).

وهذا البعض، إما أن يكون غير عارف بمعنى المعجز، مما أدى به إلى الوقوع في هذا الوهم والاشتباه، فيكون شبهة في مقابل بديهية، أو أن حبهم لأهل البيت المفرط الذي وصل بهم إلى حد لا يحمد عقباه، أوقعهم في هذا التوهم، أو أنهم يحاولون تشويه صورة أئمة أهل البيت (ع) أمام أعداء الشيعة، وذلك في اعتقادهم أن أئمة الشيعة ليسوا من البشر، وأنهم يفعلون ما يفعله الله، أو فوض إليهم أمور الكون والخلق يتصرفون فيه كيفما شاؤوا، ولهذا ينبغي عليهم أن يعيدوا النظر في كل ما قالوه عن الولاية التكوينية للأئمة (ع)، لينزهوهم عما هم منه براء، لأن الاعتقاد بذلك يلزمه **أولاً**: مخالفة العلماء الذين ذكرناهم فيما تقدم، من أنهم أثبتوا الولاية التكوينية لله وحده، بالأدلة النقلية والعقلية، **وثانياً**: يلزم من القول بالولاية التكوينية وحق التصرف في شؤونه سبحانه التفويض المنهي عنه، أو أن نجعل الأئمة (ع)

شركاء لله في أفعاله، لأن معنى كلمة «بإذنه» أو «بإذن الله» في الآيات، يُراد به أمره سبحانه، وأمره فعله وإرادته، فإذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . إلى هنا تثبت الولاية التكوينية لله وحده دون سواه بحسب الدليل الأول والحمد لله.

الدليل الثاني

قوله تعالى: **﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾**. البقرة، ٢٥٨ .

وقوله تعالى: **﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أوَ لَم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم﴾**. البقرة، ٢٦٠ .

من الأدلة التي تثبت انحصار الولاية التكوينية في الله سبحانه، وتنفيها عن غيره من الملائكة والأنبياء والأئمة (ع)، هذه الآيات المباركات، فهي صريحة في أن الله هو الذي يحيي ويميت، ولا يقدر على الإحياء والإماتة غيره تعالى، لأنهما خارجان عن قدرة العباد. ودليل ذلك قوله تعالى: **﴿الذي خلق**

الموت والحياة»، وقوله تعالى: **﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾**، **«لا يقدر على الإماتة والإحياء غيره»** [1]. ويؤكد ذلك قول الشيخ الطوسي: **«أنه تعالى الذي يخلق الموت.. لا يقدر على الموت غيره، لأنه لو قدر على الموت غيره لقدر على الحياة.. ولا أحد يقدر على الحياة إلا الله»** [2]. ويؤيده ما يقوله السيد عبدالله شبر: **﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾**، **«بخلقه الموت والحياة ولا قدرة لغيره عليهما»** [3]. إلى غير ذلك من الآيات وأقوال العلماء الدالة على نفي القدرة عن غير الله سبحانه.

وهناك من يحاول الاستدلال بهذه الآيات على الولاية التكوينية للأئمة والأنبياء (ع) حيث ذهب إلى القول بأن الإحياء في هذه الآيات يُنسب إلى نبي الله إبراهيم (ع)، فهو الذي أعاد الحياة إلى الطيور التي قطعهن، وذلك بالقدرة التي أقدره الله عليها، فالله باعتقادهم أقدر الأنبياء والأئمة (ع) على خوارق العادة كالخلق والإماتة والإحياء، ولكن في كل ذلك يستمدون العون والقدرة من الله تعالى، وهو يفيض عليهم هذه القدرة، وهذا الاعتقاد غير سليم، لأنه يؤدي إلى التفويض ولو في بعض شؤونه سبحانه، وأن من شؤون الواجب المطلق الذي لا يشاركه فيها أحد، أفعاله، من الخلق والإحياء والإماتة، ولهذا ينبغي على كل مكلف توحيده سبحانه في صفاته الفعلية، كما ينبغي توحيده في

١- الفيض الكاشاني: الصافي - جـ ٥ - ص ٩١ .
٢- الطوسي: التبيان - جـ ٩ - ص ٤٣٤، ٤٣٥ .
٣- عبدالله شبر: الجوهر الثمين - جـ ٦ - ص ١١١ .

ذاته، وصفاته الذاتية، وأن لا يجعل معه شريكاً في هذه الصفات.

والذي يظهر أنه لا يوجد لدى هؤلاء دليل يُركنُ إليه، ولهذا حاولوا تقييد الإحياء والخلق بإذن الله تعالى، وقد خفي عليهم أن كلمة «بإذن الله» معناها، أمره، وأمره سبحانه فعله لا فعل غيره، حتى نقيّد أفعال الأنبياء والأئمة (ع) «بإذن الله» ولهذا يبطل قول القائل: «**حيث أسند - أي الله عز وجل - الخلق والإبراء والاعتناء والتدبير إلى نفس النبي أو الوزير أو الملائكة، لا إلى الله بشفاعته ودعائه، فالأنبياء والأئمة يباشرون هذه الأعمال كما يباشر ملك الموت قبض الأرواح لكن بإذن الله تعالى وإقداره**» وكل ذلك واضح البطلان.

أما إسناد الخلق والإبراء.. فقد مرّ في الدليل الأول، أن هذه الأفعال منحصرة في الله سبحانه لا يقدر عليها غيره، كما سوف يأتي المزيد من الأدلة على ذلك، وأما قوله: «**فالأنبياء والأئمة يباشرون هذه الأعمال كما يباشر ملك الموت قبض الأرواح**»، فهو توهم، كما سنشير إليه عند الكلام عن قوله تعالى: ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها**﴾، ونبين الفرق بين التوفي والموت، فالتوفي الذي هو بمعنى القبض، أي قبض الأرواح بعد موتها، أو حين موتها وخروجها من البدن، من مقدور العباد، وهذا بخلاف الموت الذي هو من فعل الله، فقبض الروح بواسطة الملك أو الملائكة يكون بعد أن يخرجها الله من بدن الإنسان حين الموت. وهذا ما

سوف نوضحه إن شاء الله، ليظهر توهم من قاس أعمال الأنبياء والملائكة التي لا تكون إلا في مقدورهم لا في مقدورات الخالق المطلق. من هذه المقدمة نشير إلى ما جاء في تفسير الآيات المباركة كما جاء عن مفسري الشيعة.

الآية الأولى: قوله تعالى: **﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت﴾** الآية.

ففي هذه الآية الكريمة دلالة صريحة على أن الإحياء والإماتة من شؤونه سبحانه، لا يشاركه فيها أحد من مخلوقاته، ومن أجل هذا نفى إبراهيم (ع) عن نفسه الإحياء والإماتة وأسندها إلى الله، وذلك في قوله: **﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾** ولم يقل (ع) أنا أحيي وأميت، كما قال النمرود، لأن إبراهيم (ع) كان على يقين بأن الإحياء والإماتة ليس من مقدور العباد. ولهذا أسند هذه الأفعال إلى خالقها الحقيقي، لا المدعي، ومن هنا حدّدت الآية، أن الإحياء والإماتة لله سبحانه على نحو الحصر والحقيقة، لا على نحو الادعاء، كما ادعاه النمرود. وبهذا تثبت الولاية التكوينية لله وحده، وتنفيها عن غيره تعالى. وعلى هذا يظهر فساد من يدعي أن الله أقدر الأنبياء والأئمة (ع) أن يأتوا بخوارق العادات، وأنهم قادرون على الخلق والإحياء والإماتة، مع ما فيه من مخالفة صريحة لهذه الآيات المباركة.

يقول الطبرسي في تفسير الآية: **﴿إذ قال إبراهيم ربي الذي**

يحيي ويميت﴾، في الكلام حذف وهو إذ قال له نمرود من ربك، فقال ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾، بدأ بذكر الحياة لأنها أول نعمة ينعم الله بها على خلقه ثم يميتهم، وهذا لا يقدر عليه إلا الله تعالى، لأن الإماتة هي أن يخرج الروح من بدن الحي من غير جرح ولا نقص بنية ولا إحداث فعل يتصل بالبدن من جهته، وهذا خارج عن قدرة البشر، ﴿قال أنا أحيي وأميت﴾ أي فقال نمرود ﴿أنا أحيي وأميت﴾.. إلى قوله: وهذا جهل من الكافر، لأنه اعتمد في المعارضة على العبارة فقط دون المعنى، عادلاً عن وجه الحجة بفعل الحياة للميت أو الموت للحي على سبيل الاختراع الذي ينفرد به تعالى ولا يقدر عليه سواه»[1]. إذن فالآية نص صريح على أن الإحياء والإماتة من فعل الله سبحانه، وبهذا تثبت الولاية التكوينية لله، وأنها منحصرة فيه سبحانه.

يقول السيد عبدالأعلى السبزواري: «وإنما خص إبراهيم (ع) في حجته بالإحياء والإماتة دون غيرهما من صنع الله تعالى، لأنهما يختصان به تعالى وليس لغيره عز وجل منهما صنع»[2]. فأين إذن نضع قول القائل: «ولكن اعتقادنا أن الله تعالى أقدر الأنبياء والأئمة (ع) على خوارق العادة كالخلق والإماتة والإحياء». أليست هذه الأفعال هي أفعاله سبحانه التي لا يشاركه فيها أحد، أم جعلنا مع الله شركاء خلقوا كخلقة فتشابه الخلق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

١- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٢ - ص ٤٧٣ .

٢- السبزواري: مواهب الرحمن - جـ ٤ - ص ٣١٠ .

يقول محمد جواد مغنية في تفسير الآية: «**قال الذي أطغاه الجاه والمال لإبراهيم: من ربك؟ قال إبراهيم: ربي الذي يهب الحياة لمن يشاء، ثم يزيلها، ولا أحد يشاركه في ذلك**» [1]

ويقول الشيخ محمد السبزواري: «**إذ قال إبراهيم ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾ مبتدئاً بأول نعمة ينعم الله تعالى بها على خلقه، ومختتماً بآخر آية تدل على عظمته، إذ لا يقدر عليها غيره. وبيان ذلك أن إفاضة الروح أمر إلهي، لا يعرف كيف يخرجها من البدن الحي.. ولا إحداث فعل فيه.. إلا هو جلت قدرته**» [2].

الآية الثانية: ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ الآية.

من الآيات التي يتمسك بها القائلون بالولاية التكوينية للأنبياء والأئمة (ع) الآية التي تحكي قصة إبراهيم (ع)، وكيفية إحياء الموتى، كما جاء في قولهم: «**يختص بإخبار الله للنبي بأنه قادر على التصرف في شؤون الكون، ففي قصة إبراهيم (ع) نستمع إلى قصة إحياء أولي للموتى..**» ولم يكتفوا بذلك، بل جعلوا ذلك حقيقة قرآنية ثابتة في شأن الولاية التكوينية إلى درجة الاستفاضة، وإن لم يكن لها وجود في القرآن، بل هي من المفاهيم المستحدثة. فالمتتبع للآيات القرآنية يجدها صريحة على

١- محمد جواد مغنية: التفسير الكاشف - جـ ٣ - ص ٤٠٤ - المجلد الأول.

٢- الشيخ محمد السبزواري: الجديد في تفسير القرآن - جـ ١ - ص ٣٣٢ .

نفي الولاية التكوينية بأي نحو من الأنحاء عن غير الله سبحانه وحصرها فيه، وهذا من الأمور المسلّمة التي لا تحتاج إلى دليل، لأن القول به يؤدي إلى القول بجعل شريك مع الله في الخلق والإحياء والإماتة، وهي من أفعاله المختصة به. وقد ناقشنا هذا في كتابنا مسائل عقائدية، وبيّنا فساد هذا المعتقد فراجع [1].

وأما قصة إبراهيم (ع) كما جاءت في قوله تعالى: **﴿ربي أرني كيف تحيي الموتى﴾** فهو دليل على أن إبراهيم (ع) ليس باستطاعته إحياء الموتى، ولم يكن عارفاً بكيفية الإحياء، لأن القادر على الإحياء، يلزمه أن يكون عارفاً بكيفية الإحياء، ولهذا سأل ربه سبحانه، أن يريه كيف يحيي الموتى، وهو دليل على نفي الولاية التكوينية عن الأنبياء (ع) وعدم صلاحية الآية على الاستشهاد بها على ثبوت الولاية التكوينية للأئمة (ع). ونحن نشير إلى ما جاء في تفسير الآية ليتضح أن الإحياء من الله عز وجل وليس من إبراهيم (ع)، وبها نثبت انحصار الولاية التكوينية به سبحانه.

يقول الفيض الكاشاني في تفسير الآية: **﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى﴾** الآية. **«وفي العيون عن الرضا (ع) أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم أني متخذ من عبادي خليلاً إن سألني إحياء الموتى أجبته فوقع في نفس إبراهيم أنه ذلك الخليل، فقال رب أرني كيف تحيي الموتى..** إلى قوله: **وقلن** - أي

١- مسائل عقائدية للمؤلف - ص ٤٤، ٤٥ .

الطيور - يا نبي الله أحييتنا أحياك الله، فقال إبراهيم بل الله يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير»[1]. وأنت ترى أن هذه الرواية صريحة في أن الإحياء من الله وليس من إبراهيم (ع).

وجاء في مجمع البيان للطبرسي: «**وفي الكلام حذف فكأنه قال: فقطعهن ثم اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءاً فإن الله يحييهن فإذا أحياهن فادعهن، فيكون الإيماء بعد أن صارت أحياء، ففعل إبراهيم ذلك**» [2] وهذا دليل آخر على كون الإحياء من الله سبحانه لا من إبراهيم (ع). ويؤيد ذلك ما روى عن أبي عبدالله (ع) أن معناه: «**فرقهن على كل جبل وكانت عشرة أجبل، ثم خذ بمناقيرهن وادعهن باسمي الأكبر وحلفن بالجبروت والعظمة يأتينك سعياً ففعل إبراهيم (ع) ذلك**» [3].

وقد جاء في المجمع أيضاً: «**أن الملك بشر إبراهيم (ع) بأن الله قد اتخذه خليلاً وأنه يجيب دعوته ويحيي الموتى بدعائه فسأل الله تعالى أن يفعل ذلك ليطمئن قلبه بأنه قد أجاب دعوته واتخذه خليلاً**» [4].

يقول السيد عبدالأعلى السبزواري: «**يستفاد من ظاهر الآية الكريمة، أن طلب إبراهيم (ع) كان لمشاهدة كيفية إحياء الله تعالى الموتى الذي هو من فعله عز وجل بجميع خصوصياته**

١- الفيض الكاشاني: الصافي - جـ ١ - ص ٢٩٣، ٢٩٤ .
٢- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٢ - ص ٤٨١ .
٣- نفس المصدر: ص ٤٨١ .
٤ - نفس المصدر: ص ٤٨٠ .

التي منها قبول الأجزاء المادية لإفاضة الحياة..» [1]. وهذا دليل آخر يؤكد أن الإحياء من الله تعالى، لا من إبراهيم (ع). وبهذا تنتفي الولاية التكوينية المدعاة إلى إبراهيم (ع)، وذلك في قولهم: **«ففي قصة إبراهيم (ع) نستمع إلى قصة إحياء أولي للموتى كما في قصة الطير..»** .

يقول الطباطبائي: **«وإنما سأل إبراهيم (ع) عن الكيفية: أما أولاً: فلأنه قال: ﴿كيف تحيي الموتى﴾، بضم التاء من الإحياء، فسأل عن كيفية الإحياء الذي هو فعلٌ ناعتٌ لله تعالى وهو سبب حياة الحي بأمره..»** [2].

وفي تفسير البرهان: **﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ .. عن الصادق جعفر بن محمد (ع) قال: استجاب الله عز وجل دعوة إبراهيم حين قال: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ .. ومعناها أنه سأل عن الكيفية، والكيفية من فعل الله عز وجل** [3].

ولهذا روي عن محمد بن الجهم أنه قال: **«حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى (ع)، إلى قوله: .. قال الرضا (ع) إن الله تبارك وتعالى كان أوحى إلى إبراهيم أني متخذ من عبادي خليلاً إن سألني إحياء الموتى أجبته، فوقع في نفس إبراهيم (ع) أنه ذلك الخليل، فقال ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ إلى قوله: وقلن يا نبي الله أحييتنا أحياك الله، فقال إبراهيم بل**

١- السبزواري: مواهب الرحمن - جـ ٤ - ص ٢٢٦ .

٢- الطباطبائي: الميزان - جـ ٢ - ص ٣٦٧ .

٣- هاشم البحراني: البرهان - جـ ١ - ص ٢٤٩ .

الله يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير» [1].

يقول الشيخ الطوسي في التبيان: «فإن قيل: كيف قال: ﴿ثم ادعهن﴾ ودعاء الجماد قبيح؟ قلنا: إنما أراد بذلك الإشارة إليها والإيماء لتقبل عليه إذا أحياها الله.. وفي الكلام حذف، فكأنه قال: فقطعهن واجعل على كل جبل منهن جزءاً فإن الله يحييهن، فإذا أحياهن فادعهن يأتينك سعياً، فيكون الإيماء إليها بعد أن صارت أحياء، لأن الإيماء إلى الجماد لا يحسن، فإن قيل: إذا أحياها الله كفى ذلك في باب الدلالة، فلا معنى لدعائها، لأن دعاء البهائم قبيح؟ قلنا: وجه الحسن في ذلك أنه يشير إليها، فسمى ذلك دعاء لتأتي إليه، فيتحقق كونها أحياء، ويكون ذلك أبهر في باب الإعجاز» [2].

وجاء في تفسير نور الثقلين قوله: «وفي رواية كما في كتاب الخصال عن أبي عبد الله (ع): «.. يا نبي الله أحييتنا أحياك الله»، فقال إبراهيم: بل الله يحيي ويميت، فهذا تفسير الظاهر: قال (ع): وتفسير الباطن خذ أربعة.. إلى قوله (ع): وإن أردت أن يأتوك دعوتهم بالاسم الأكبر يأتونك سعياً بإذن الله» [3].

١- نفس المصدر: ص ٢٤٩، ٢٥٠ .

٢- الطوسي: التبيان - جـ ٢ - ص ٣٣٠، ٣٣١ .

٣- الحويزي: تفسير نور الثقلين - حـ ١ - ص ٢٧٧، ٢٧٨ .

وملخص الدليل الثاني:

١- حددت الآيتان حاكمية الله سبحانه في الإحياء والإماتة، وأنه سبحانه هو المنفرد بهذا الفعل لا يشاركه فيه أحد من مخلوقاته.

٢- إسناد الإحياء والإماتة إلى الله، في قول إبراهيم (ع): **﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾**، دليل على انحصار الإحياء والإماتة بالله سبحانه دون سواه، ولو أن الله سبحانه أقدر الأنبياء على الإحياء، كما يدعي البعض لمارسه نبي الله إبراهيم (ع)، وكان من اللازم أن يقول (ع): أنا الذي أحيي وأميت، بدلاً من قوله: **﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾**. ولما لم يقل ذلك، علمنا أن الإحياء والإماتة منحصر بالله سبحانه.

٣- دلّت الآيتان على أن الإحياء كان بدعاء إبراهيم (ع) بعد أن أحياها الله تعالى.

٤- تدل الآيتان على حصر الولاية التكوينية وحق التصرف في الكون بالله وحده لا يشاركه في أفعاله لا نبي مرسل ولا ملك مقرب، وعلى هذا يظهر فساد من يذهب إلى ثبوت الولاية التكوينية للأئمة (ع) استناداً إلى الآيتين السابقتين، كما يظهر بطلان من يدعي في قوله: **«لا إشكال في الولاية التكوينية للأنبياء والأئمة (ع) بل للأولياء المقربين، والقرآن أكبر شاهد على ذلك حيث تعرض لموارد كثيرة من معاجز الأنبياء، كما ورد في سورة آل عمران: ﴿اني أخلق لكم من الطين﴾**، الآية. وهذا

توهم وقع فيه القائل، إذ المعاجز، كما سبق ذكرها، ليست من فعل الأنبياء ولا من فعل الأئمة، وإنما هي من فعل الله يجريها على أيديهم، ولا صنع لهم فيها، حتى يجعل ذلك دليلاً على الولاية التكوينية، وقد اتفقت كلمة أعلام الشيعة، على أن المعجزة من فعل الله ولا قدرة لأحد من البشر أن يأتي بمثلها، وإلا خرجت عن كونها معجزة. ومن هنا يظهر بطلان قول القائل أيضاً: «**والذي ينكر الولاية التكوينية إما جاهل - والجاهل عذره جهله - وإما استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر الله عز وجل..**» ونحن نقول: مَن مِن علماء الشيعة قال بالولاية التكوينية للأئمة (ع) ؟ ونحن ذكرنا أقوال المتأخرين من العلماء في الولاية التكوينية فراجع. وأما القدماء من الأعلام، فلم يتطرقوا لموضوع الولاية التكوينية، لأنه من المصطلحات التي لم تذكر لا في القرآن ولا في السنة الشريفة، ولذا لم نجد هذا المصطلح في مصادر القدماء من العلماء. إلا أن يُقال بأنهم لم يتنبّهوا لهذا المصطلح، وتنبّه إليه بعض المتأخرين ممن قالوا بالولاية التكوينية للأنبياء (ع) .

الدليل الثالث

قوله تعالى: ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل

ربي﴾ النمل، ٤٠ .

من الآيات التي يتمسك بها القائلون بالولاية التكوينية للأئمة (ع) هي هذه الآية المباركة التي تحكي قصة آصف بن برخيا (ع) وصي نبي الله سليمان (ع). من دون أن يلتفتوا إلى معنى الآية وإلى ما جاء عن مفسري الشيعة، وما ورد عن الأئمة (ع) من أحاديث توضح معنى الآية وكيفية إتيان عرش بلقيس إلى سليمان (ع)، وهل كان ذلك من فعل آصف بن برخيا بالقدرة التي يمتلكها والتي تصحح له التصرف في عالم الكون وخرق نواميس الطبيعة ؟ أم أن إتيان عرش بلقيس كان بدعاء آصف بن برخيا (ع) بما يملكه من اسم الله الأعظم الذي يستجاب الدعوة إذا دعا به، فيكون آصف بن برخيا سبباً في إتيان عرش بلقيس وهذا الدليل يحدد كيفية إتيان عرش بلقيس، وأن الله سبحانه هو الذي أتى به، وذلك بدعاء آصف بن برخيا، لأن ذلك من معاجزه (ع)، وقلنا سابقاً إن المعاجز من فعل الله يجريها على أيدي أنبيائه وأوصيائه، ومن هنا، فالآية تثبت الولاية التكوينية لله وحده وتنفيها عن وصي سليمان (ع)، وبعد إثبات ذلك بالدليل، يظهر بطلان قول القائل في استدلاله على ثبوت الولاية التكوينية للأئمة (ع) في قوله: **«والإتيان بعرش بلقيس في لحظة من قبل آصف بن برخيا الذي كان عنده علم من الكتاب، فكيف بالأئمة الذين لهم علم الكتاب، فإن قوله تعالى: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ فُسِّر بعلي (ع)».**

أقول: وهذه النغمة جارية على ألسنة البعض من دون أن يلتفتوا إلى الفارق بين الآيتين الكريمتين، ولهذا قاسوا الآية التي فسرت بأمير المؤمنين (ع)، بالآية التي فسرت بآصف بن برخيا (ع)، وهذا القياس باطل، لعدم وجود علاقة بين الآيتين، فالذي عنده علم من الكتاب، فسّر الكتاب في هذه الآية باللوح المحفوظ، والله سبحانه أطلع وصي سليمان (ع) على الاسم الأعظم الذي هو محفوظ في اللوح المحفوظ، كما ستوضحه تفاسير علماء الشيعة، وما ورد عن أئمة الهدى (ع)، أما الآية الثانية، وهي قوله تعالى: **﴿ومن عنده علم الكتاب﴾**، فلا إشكال أن المراد من علم الكتاب، العلم الذي جاء به القرآن، لأن الكتاب هنا يراد به القرآن، فعلمه عند أمير المؤمنين (ع)، من حلال وحرام وأحكام وعبر وقصص وكل ما ذكره القرآن الكريم، وهذا لا علاقة له بقوله تعالى: **﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾** وهو الاسم الأعظم الذي حظي به آصف بن برخيا (ع)، ومن هنا تبطل النغمة التي تتردد على ألسنة البعض وهي: «**فالذي عنده علم من الكتاب استطاع أن يأتي بعرش بلقيس، فكيف بالذي عنده علم الكتاب كله**»، ظنّاً منهم أن الذي أتى بعرش بلقيس هو آصف بن برخيا، حتى جعلوا له الولاية التكوينية ثم تسريتها إلى أئمة الهدى (ع)، وإن كان ذلك مخالفاً لما جاء في تفاسير الشيعة، وما ورد عن الأئمة (ع).

ثم يقال: إذا كان عند آصف بن برخيا (ع) الاسم الأعظم الذي

إذا دعا الله به أجاب دعوته، فلا إشكال في أن الأئمة (ع) وهم أفضل خلق الله بعد رسول الله (ص) على الإطلاق، يوجد عندهم اسم الله الأعظم، إذا دعوا الله به أجاب، وليس معنى ذلك أن تكون لهم القدرة على التصرف في الكون بقدراتهم البشرية المحدودة، بل هم عباد مكرمون، ولهذا لا يصح أن يقال بأن لهم الولاية التكوينية وحق التصرف في العالم، وخرق النواميس الطبيعية، حتى يكونوا شركاء لله في فعله. وهذه جملة من التفاسير ليتضح صحة ما نقول وبطلان قول القائلين بالولاية التكوينية للأئمة (ع).

يقول الطوسي في تفسير الآية: «**فقال عند ذلك ﴿الذي عنده علم من الكتاب﴾ .. هو رجل من الإنس، كان عنده علم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب. وقيل: «يا إلهنا وإله كل شيء يا ذا الجلال والإكرام»، وهذا هو المشهور عند المفسرين وقد ذكر ان اسمه آصف بن برخيا .. وقيل يجوز أن يكون الله أعدمه ثم أوجده في الثاني بلا فصل بدعاء الذي عنده علم من الكتاب، وكان مستجاب الدعوة إذا دعا باسم الله الأعظم، ويكون ذلك معجزة له..**»[1] والمعجزة كما ذكرنا من فعل الله لا من فعل غيره.

وجاء في تفسير كنز الدقائق: «.. **قال سليمان (ع): أريد أسرع من ذلك، فقال آصف بن برخيا: ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك**

١- الطوسي: التبيان - جـ ٨ - ص ٨٥، ٨٩ .

طرفك» فدعا الله عز وجل باسمه الأعظم فخرج السرير من تحت كرسي سليمان» [1].

وجاء في مجمع البيان للطبرسي: «**وهو ابن برخيا وكان وزير سليمان وابن أخته وكان صدّيقاً يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دُعيَ به أجاب.. قال الكلبي: خرَّ آصف ساجداً ودعا باسم الله الأعظم ففار عرشها تحت الأرض حتى نبع عند كرسي سليمان**»، وهناك وجوه أخرى ذكرها العلماء، كما يقول الطبرسي، كلها تدل على أن الله سبحانه هو الذي أتى بعرش بلقيس وذلك بدعاء آصف بن برخيا [2]. ويؤكد هذا ما جاء عن الإمام موسى بن جعفر (ع) أنه قال: « .. **إني أدعو الله عز وجل باسمه العظيم الذي دعا به آصف حتى جاء بسرير بلقيس ووضعه بين يدي سليمان (ع) قبل ارتداد طرفه إليه..**» [3].

يقول الطباطبائي في تفسير الآية: «**العلم الذي أخذه هذا العالم منه كان علماً يسهل له الوصول إلى هذه البغية، وقد ذكر المفسرون أنه كان يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أجاب، وربما ذكر بعضهم أن ذلك الاسم هو الحي القيوم، وقيل: ذو الجلال والإكرام .. وقيل إنه دعا بقوله: يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت ائتني بعرشها**» [4]. فقوله (ع) في دعائه

١- المشهدي: كنز الدقائق - جـ ٧ - ص ٣٤٣، ٣٤٤ .
٢- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٧- ص ٣٨٩، ٣٩٠ .
٣- المشهدي: كنز الدقائق - جـ ٧ - ص ٣٤٦ .
٤- الطباطبائي: الميزان - جـ ١٥ - ص ٣٦٢ .

«**ائتني بعرشها**»، دليل على عدم قدرة آصف بن برخيا على إتيان عرش بلقيس، وأن الذي أتى بعرشها هو الله سبحانه بدعاء آصف بن برخيا (ع).

وفي الجوهر الثمين: ﴿**قال الذي عنده علم من الكتاب**﴾ .. **آصف بن برخيا وزيره، وكان صدّيقاً يعلم اسم الله الأعظم. القمي: قال سليمان، يعني بعد مقالة العفريت، أريد أسرع من ذلك، فقال آصف بن برخيا، ﴿أنا آتيك به﴾ فدعا الله بالاسم الأعظم فخرج السرير من تحت كرسي سليمان، وعن الصادق (ع)، أن الأرض طويت له، وفي آخر، انخسفت الأرض ما بينه وبين السرير.. وفي رواية: لم يعجز سليمان عن معرفة ما عرف آصف، لكنه أحب أن يعرف الجن والإنس أنه الحجة من بعده..**» [1].

وجاء في تفسير الصافي: ﴿**قال الذي عنده علم من الكتاب**﴾ الآية: «**فدعا الله عز وجل بالاسم الأعظم فخرج السرير من تحت كرسي سليمان**» [2]، وجاء مثله في تفسير نور الثقلين [3]، ولهذا يقول نور الدين الكاشاني: «**دعا الله بالاسم الأعظم فحضر السرير بأسرع من طرفة عين**» [4].

يقول الشيخ محمد السبزواري في تفسيره: ﴿**قال الذي عنده علم من الكتاب**﴾ **أي الكتاب السماوي الذي فيه الاسم الأعظم،**

١- عبدالله شبر: الجوهر الثمين - جـ ٤ - ص ٤٢٧ .
٢- الفيض الكاشاني: الصافي - جـ ٤ - ص ٦٧ .
٣- الحويزي: نور الثقلين - جـ ٤ - ص ٨٧ .
٤- نور الدين الكاشاني: تفسير المعين - جـ ٢ - ص ١٠٠٦ .

﴿أنا آتيك به﴾ .. والمعروف أن القائل هو آصف بن برخيا وكان عنده اسم الله الأعظم.. وفي العياشي عن الهادي (ع) قال: الذي عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرف به آصف ولكنه (ع) أحب أن يعرف الجن والإنس أنه الحجة من بعده..» [1].

وملخص ما تقدم، أن الآية المباركة تدل على أن إتيان عرش بلقيس كان بدعاء آصف بن برخيا (ع)، وأن المراد من قوله تعالى: **﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾** هو اسم الله الأعظم، وهو الذي دعا به آصف (ع)، وكان سبباً في إتيان الله سبحانه لعرش بلقيس، فالذي أتى بعرش بلقيس هو الله سبحانه بدعاء آصف (ع)، ليكون معجزة له على وصايته لسليمان (ع). فالآية إذن تنفي الولاية التكوينية عن آصف (ع)، وتحصرها في الله تعالى، وعلى هذا فالاستدلال بها على ولاية الأئمة (ع) التكوينية غير صحيح.

الدليل الرابع

قوله تعالى: **﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾** الزمر، ٤٢ . وقوله تعالى: **﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾** السجدة، ١١ . وقوله تعالى: **﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾** النساء، ٩٧ . وقوله تعالى: **﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته**

١- محمد السبزواري: الجديد في تفسير القرآن - جـ ٥ - ص ٢٢٧ .

رسلنا..﴾ الأنعام، ٦١ . وقوله تعالى: ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم﴾ الأعراف،٣٧ .

هذه طائفة من الآيات استدل بها القائلون بالولاية التكوينية للأئمة (ع)، بالتقريب التالي، حيث إن الله سبحانه أسند الخلق والإحياء إلى نفس النبي أو الملائكة، فالأنبياء والأئمة إذن يباشرون هذه الأعمال كما يباشر ملك الموت قبض الأرواح لكن بإذن الله تعالى وإقداره. وهذا الاستدلال باطل كما سنوضحه إن شاء الله.

وعلى ضوء ذلك فالاستدلال بهذه الآيات على ثبوت الولاية التكوينية للأئمة (ع) ينبغي أولاً تحديد معنى التوفي، لكي نجعل ذلك دليلاً على ثبوت الولاية التكوينية لهم عليهم السلام. وبملاحظة الآيات المذكورة، نلاحظ أن التعبير فيها دائماً بلفظ التوفي، دون الموت، فتارة يقول: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ ولم يقل: «الله يميت الأنفس حين موتها»، وأخرى يقول: ﴿يتوفاكم ملك الموت﴾، ولم يقل: «يميتكم ملك الموت»، وثالثة يقول: ﴿توفاهم الملائكة﴾ أو ﴿توفته رسلنا﴾ أو ﴿جاءتهم رسلنا يتوفونهم﴾ وفي كل ذلك لم يقل: «تميتهم الملائكة» أو «تميتهم رسلنا» أو «جاءتهم رسلنا تميتهم». وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن التوفي غير الموت، فالتوفي داخل تحت مقدور العباد، دون الموت الذي لا يقدر عليه إلا الله، ولهذا جاء التعبير دائماً «بالتوفي» ويظهر هذا المعنى من تفسير هذه الآيات المباركة،

ليتضح بطلان من يدعي الولاية التكوينية للأنبياء والملائكة والأئمة (ع). فالتوفي إذن من مقدور العباد، لأن معناه، قبض الروح والصعود بها إلى خالقها، وقبض الروح داخل تحت مقدور العباد، ولهذا أسند التوفي إلى الله على الحقيقة، كما أسند إلى ملك الموت لأنه قادر على قبض الروح، لكونها من الأجسام، وكذلك أسند إلى الملائكة الموكلين بقبض الأرواح. وهذا بخلاف الموت، فلم يسند إلا إلى الله سبحانه، ﴿**الذي خلق الموت والحياة**﴾، وقوله تعالى: ﴿**الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم**﴾. وقوله تعالى: ﴿**وأنه هو أمات وأحيا**﴾ لا يقدر على الإماتة غيره سبحانه، إلى غير ذلك من الآيات التي تحصر الموت بالله تعالى، وعلى هذا، فالآيات المباركة تدل على حصر الولاية التكوينية في الله، وتنفيها عن غيره. ومن هنا يظهر بطلان من يدعي في قوله: «**حيث أسند الخلق والإبراء والتدبير إلى نفس النبي أو الوزير أو الملائكة، لا إلى الله بشفاعته ودعائه، فالأنبياء والأئمة يباشرون هذه الأعمال كما يباشر ملك الموت قبض الأرواح لكن بإذن الله تعالى وإقداره**». وقد خفي على القائل أن المراد من كلمة «بإذن الله» هو أمره، وأمره سبحانه فعله لا يشاركه فيه أحد، وبالتالي فهذه الأعمال ترجع إلى الله وحده إن أريد بالتوفي كما يستفاد من قوله هو الإماتة، وهذا ما يؤكد قوله: «**صح إسناده إليهم وإلى الله أيضاً كما أسند الإماتة في القرآن تارة إلى الله وتارة إلى ملك الموت، وأخرى إلى الملائكة..**»

مع أن الآيات لم تسند الموت إلى الملائكة، وإنما أسندت التوفي إلى ملك الموت أو الملائكة، لأن التوفي، كما قلنا، قبض الروح، وهو داخل في مقدور العباد، وهذا بخلاف الموت الذي لا يقدر عليه غير الله، والتفاسير الآتية توضح ما قلناه.

أما الآية الأولى: **﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾** فقد ورد فيها مجموعة من التفاسير تشير إلى معنى التوفي، وهو قبض الروح بعد موت الإنسان نذكر جملة منها.

يقول الفيض الكاشاني: **﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾، «أي يقبضها عن الأبدان بأن يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها ظاهراً وباطناً وذلك عند الموت»** [1]. فقبض الروح لا يكون إلا عند الموت، وهذا دليل على أن التوفي غير الموت، والموت من فعل الله سبحانه.. ولهذا يقول مغنية: **﴿حين موتها﴾، «أي يقبض الروح حين يأتي الأجل»** [2] وهو الموت.

وجاء في تفسير التبيان للشيخ الطوسي: **﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾، معناه أنه يقبضها إليه إذا أراد إماتتها يقبض روحها، بأن يفعل فيها الموت.. ثم قال: ﴿إن في ذلك﴾، يعني قبض الأرواح تارة بالموت، وقبض الأنفس بالنوم أخرى، ﴿لآيات﴾ أي دلالات واضحات على توحيد الله، فإنه لا يقدر عليه سواه»** [3]. وهذا دليل آخر على أن التوفي وهو قبض الروح داخل تحت قدرة

١- الفيض الكاشاني: الصافي - جـ ٤ - ص ٢٢٣ .
٢- مغنية: التفسير المبين - ٦١٢ .
٣- الطوسي: التبيان - جـ٩ - ص ٢٢ .

العباد دون الموت الذي هو من فعل الله تعالى.

وجاء في تفسير الطبرسي: «**أي يقبضها إليه وقت موتها وانقضاء آجالها، والمعنى حين موت أبدانها وأجسادها.. ﴿لقوم يتفكرون﴾ في الأدلة، إذ لا يقدر على قبض النفوس تارة بالنوم وتارة بالموت غير الله تعالى**» [1]. وبهذا المعنى جاء في الجوهر الثمين: ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها**﴾، «**أي يقبضها عن الأبدان بأن يقطع تعلقها عنها.. وذلك عند الموت..**» [2].

يقول الطباطبائي في تفسير الآية: «**المراد بالأنفس الأرواح المتعلقة بالأبدان لا مجموع الأرواح والأبدان، لأن المجموع غير مقبوض عند الموت، وإنما المقبوض هو الروح يقبض من البدن، والمراد بموتها موت أبدانها**» [3]. ولهذا جاء في التفسير الكاشف: ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها**﴾ «**أنه تعالى يقبضها إليه حين موت الأبدان**» [4].

يقول الشيخ محمد السبزواري في تفسير الآية: «**أي الذي يقبض الأرواح حين انقضاء آجالها هو الله سبحانه وهو العالم بأوقات الانقضاء حيث إنه الجاعل والمقدر وعلمه مختص بذاته المقدسة.. ونسبة التوفي إلى ملك الموت في بعض الآيات باعتبار المباشرة، وإلا فالمتوفي هو الله عز وجل**» [5].

١- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٨ - ص ٦٤٥ .
٢- عبدالله شبر: الجوهر الثمين - جـ ٥ - ص ٣١٨ .
٣- الطباطبائي: الميزان - جـ ١٧ - ص ٣٦٩ .
٤- مغنية: التفسير الكاشف - جـ ٣٤ - ص ٤١٩ .
٥- محمد السبزواري: الجديد في تفسير القرآن - جـ ٦ - ص ١٦٩، ١٧٠ .

هذا فيما يتعلق بهذه الآية، وقد اتضح أن التوفي معناه قبض الأرواح، وهو غير الموت المختص بالله سبحانه.

وأما الآية الثانية وهي قوله تعالى: **﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾**، فقد ورد في تفسيرها ما يؤكد المعنى الذي أشرنا إليه، منها ما عن الطبرسي في تفسير الآية: «**﴿قل﴾ يا محمد للمكلفين ﴿يتوفاكم﴾ أي يقبض أرواحكم أجمعين.. ﴿ملك الموت الذي وكل بكم﴾، أي وكل بقبض أرواحكم.. وأما إضافة التوفي إلى نفسه في قوله: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ فلأنه سبحانه خلق الموت ولا يقدر عليه أحد سواه**» [1].

ومنها ما يقوله ناصر مكارم الشيرازي في تفسير الآية: «**وفي الآيات مورد البحث نسب قبض الأرواح إلى ملك الموت، إلا أنه لا منافاة بين هذه التعبيرات مطلقاً، فإن لملك الموت معنى الجنس وهو يطلق على كل الملائكة، أو هو إشارة إلى كبير الملائكة وزعيمها، ولما كان الجميع يقبضون الأرواح بأمر الله سبحانه، فقد نسب الفعل إلى الله عز وجل**» [2].

ومنها ما جاء في تفسير التبيان للشيخ الطوسي: «**أمر الله نبيه (ص) أن يخاطب المكلفين بأن يقول لهم ﴿يتوفاكم ملك الموت﴾ أي يقبض أرواحكم.. فملك الموت يتوفى الإنسان بأخذ روحه على تمام فيعرج بها إلى حيث أمره الله تعالى.. وقوله**

١- الطبرسي: مجمع البيان - ج ٨ - ص ٤٢٥ .

٢- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل - ج ١٢ - تفسير الآية.

﴿الذي وكل بكم﴾ صفة للملك الذي يتوفى الأنفس، وأن الله قد وكله بمعنى فوّض إليه قبض الأرواح» [1]. وجاء عنه أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾، «فإن قيل: كيف قال ههنا: ﴿الله يتوفى الأنفس﴾ وقال في موضع آخر: ﴿توفته رسلنا﴾ ﴿وقل يتوفاكم ملك الموت﴾. قيل: إن الذي يتولى قبض الأرواح ملك الموت بأمر الله، ومعه رسل وأعوان، فلذلك قال: ﴿توفته رسلنا﴾ [2]. ولهذا جاء عن أبي جعفر (ع) أنه قال: «فإن أذن الله تعالى في قبض الأرواح أجابت الروح النفس، وإن أذن الله في رد الروح أجابت النفس الروح وهو قوله سبحانه: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾» [3].

وجاء عن الإمام أمير المؤمنين علي (ع) في حديث طويل: «... وإنما يكفيك أن تعلم أن الله هو المحيي المميت، وأنه يتوفى الأنفس على يدي من يشاء من خلقه من ملائكته وغيرهم». وسئل الصادق (ع) عن قول الله - عز وجل - : ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ إلى قوله (ع): إن الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الأرواح.. فيتوفاهم الملائكة، ويتوفاهم ملك الموت من الملائكة مع ما يقبض هو، ويتوفاها الله تعالى من ملك الموت» [4]. وهذا دليل على أن

١- الطوسي: التبيان - جـ ٨ - ص ٢٧٠ .
٢- نفس المصدر: جـ ٩ - ص ٢١ .
٣- المشهدي: كنز الدقائق - جـ ٩ - ص ٤٤ .
٤- نفس المصدر: جـ ٨ - ص ٦٨ .

التـوفي هو قـبض الأرواح وهـو داخل تحت قـدرة الملائكة دون الموت.

وأما قوله تعالى: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ فعن الطبرسي قوله: «التوفي القبض، وتوفيت الشيء واستوفيته قـبضـتـه، والوفـاة الموت، لأن الميت تقـبض روحـه.. ﴿إن الذين توفاهم﴾، أي قبض أرواحهم أو تقبض أرواحهم، ﴿الملائكة﴾ .. فإن الملائكة تتوفى.. أي تقبض.. وملك الموت يتوفى، والله يتوفى، وما يفعله ملك الموت أو الملائكة يجوز أن يضاف إلى الله إذا فعلوه بأمره..» [1]. وهذا دليل أيضاً على كون التوفي من مقدور العباد أما الموت فهو من فعل الله وخلقه.

يقول ناصر مكارم الشيرازي: «.. إن الملائكة يقبضون من الإنسان روحه التي هي جوهر وجوده، فتؤخذ هذه الروح إلى العالم الآخر، وإن الإتيان بمثل هذه العبارة - توفى - بصورة متكررة في القرآن الكريم، يعتبر من أوضح الأدلة القرآنية على قضية وجود الروح وبقائها بعد الموت..»

ويقول أيضاً: «لدى البحث في موارد متعددة من القرآن الكريم، «أي حوالي ١٢ مورداً» والتي وردت فيها عبارة «توفي» وهي تتحدث عن الموت، نستنتج، أن قبض الأرواح يقوم به ملائكة متعددون وليس مَلَكاً واحداً، وهؤلاء الملائكة هم المكلفون بنقل أرواح بني آدم من هذه الدنيا إلى العالم الآخر، ففي الآية المارة

١- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٢ - ص ١٢٤ .

الذكر ورد اسم الملائكة بصيغة الجمع، وهذا هو أحد الأدلة على أن قبض الأرواح يقوم به ملائكة متعددون» [1] . وهذا دليل آخر على كون التوفي غير الموت. ولهذا جاء في كتاب التوحيد أنه **«سئل أمير المؤمنين (ع) عن ذلك.. إلى قوله (ع): وإنما يكفيك أن تعلم أن الله المحيي والمميت، وأنه يتوفى الأنفس على يدي من يشاء من خلقه من ملائكة وغيرهم»** [2].

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه عن الإمام الصادق (ع) أنه سئل عن ذلك: فقال: **«إن الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشرطة له أعوان.. فيتوفاهم الملائكة، ويتوفاهم ملك الموت من الملائكة، مع ما يقبض هو ويتوفاها الله من ملك الموت»** [3]. فقوله (ع) **«ويتوفاها الله من ملك الموت»** من أظهر الأدلة على أن التوفي معناه قبض الأرواح، وهذا بخلاف الموت الذي لا يقدر عليه إلا الله، ولذا لم يسند الموت إلى الملائكة وإنما أسنده إلى ذاته المقدسة. **﴿هو الذي يحيي ويميت﴾ ﴿الذي خلق الموت والحياة﴾** ولم يقل ملك الموت، أو الملائكة، أو رسل الله، خلقوا الموت. وهذا دليل على انحصار الولاية التكوينية في الله سبحانه، ونفيها عن الأنبياء والملائكة والأئمة عليهم السلام. وبهذا المعنى جاء عن أبي جعفر (ع) أنه قال: **إن الذين توفاهم الملائكة، يعني قبض**

١- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل - جـ ٣ - ص ٢٥٨ .
٢- المشهدي: كنز الدقائق - جـ ٢ - ص ٥٨٥ .
٣- نفس المصدر: ص ٥٨٥ .

أرواحهم [1].

وجاء في تفسير المعين: **﴿إن الذين توفاهم الملائكة﴾، قبض أرواحهم، أو تقبضها، تقبض أرواح السعداء ملائكة الرحمة، وأرواح الأشقياء ملائكة النقمة»** [2]. ولهذا جاء في تفسير قوله تعالى: **﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله﴾ ... إلا بأمره. وقال أبو علي: الآية تدل على أنه لا يقدر على الموت غير الله، كما لا يقدر على ضده من الحياة إلا الله، ولو كان من مقدور غيره لم يكن بإذنه، لأنه عاص لله في فعله»** [3]. وقلنا فيما تقدم، إن أمره سبحانه فعله، فبإذنه، معناه بفعله تعالى. ويؤيد ذلك قول مغنية في تفسير الآية: **«المعنى أن الحياة والموت بيده تعالى»** [4] ولهذا يقول المشهدي: **«وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله: إلا بمشيئته، أو بإذنه لملك الموت في قبض روحها»** [5] وذلك بعد إخراجها من بدن الإنسان الذي هو فعل الله.

وأما قوله تعالى: **﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت توفته رسلنا﴾** فهي صريحة في أن معنى «التوفي» الذي هو قبض الروح، غير معنى الموت، فإذا جاء وحان وقت موت الإنسان، يأمر الله سبحانه الملائكة بقبض واستلام روحه. يقول الطباطبائي: **«ونسبة**

١- الطوسي: التبيان - جـ ٢ - ص ٢٠٣ .
٢- نور الدين الكاشاني: تفسير المعين - جـ ١ - ص ٢٤٦ .
٣- الطوسي: التبيان - جـ ٢ - ص ٨ .
٤- محمد جواد مغنية: التفسير الكاشف - جـ٤ - ص ١٧١ .
٥- المشهدي: كنز الدقائق - جـ ٢ - ص ٢٥١ . وانظر الفيض الكاشاني: الصافي - جـ١- ص ٣٩٠ .

التوفي إلى هؤلاء الرسل ثم إلى ملك الموت.. ثم إلى الله سبحانه في قوله: ﴿الله يتوفى الأنفس﴾ من قبيل التفنين في مراتب النسب، فالله سبحانه ينتهي إليه كل أمر وهو المالك المتصرف على الإطلاق، ولملك الموت التوسل إلى ما يفعله من قبض الأرواح بأعوانه الذين هم أسباب الفعل ووسائله» [1].

وجاء في الجديد في تفسير القرآن: «﴿توفته رسلنا﴾، أي قابضو الأرواح.. عزرائيل وأعوانه عليهم السلام بكل دقة ﴿وهم لا يفرطون﴾ يعني لا يسبقون الأجل المقرر ولا يتأخرون عنه لحظة واحدة بل يقومون بوظيفتهم.. ﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق﴾، أي أنهم بعد قبض أرواحهم وموتهم ردوا، أعيدوا إلى مولاهم» [2].

يقول الطوسي في تفسيره: ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت﴾ يعني وقت الموت، ﴿توفته رسلنا﴾ يعني قبضت الملائكة روح المتوفي، وهم رسل الله الذين عناهم الله بهذه الآية. وقال الحسن: ﴿توفته رسلنا﴾ قال: هو ملك الموت وأعوانه وأنهم لا يعلمون آجال العباد حتى يأتيهم علم ذلك من قبل الله بقبض أرواح العباد. وقوله: ﴿توفته رسلنا﴾ أي تقبضه، والتوفي هو القبض على ما بيّناه» [3].

وهذا دليل آخر على أن التوفي، غير الموت، فالتوفي مقدور للعباد، والموت لا يقدر عليه إلا الله.

ويقول الطباطبائي: «التوفي أخذ الشيء بتمامه، ويستعمله

١- الطباطبائي: الميزان - جـ ٧ - ص ١٣٢ .

٢- محمد السبزواري: الجديد في تفسير القرآن - جـ ٣ - ص ٤١ .

٣- الطوسي: التبيان - جـ ٤ - ص ١٥٨، ١٥٩ .

الله سبحانه في كلامه بمعنى أخذ الروح الحية، كما في حال الموت، كما في قوله في الآية التالية: ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا﴾، [1].

يتضح مما قدمناه في تفسير الآيات التي ذكرت عبارة التوفي أمور:

الأول : أن التوفي غير الموت، وأن المراد من التوفي الوارد في الآيات المتقدمة هو، قبض الأرواح، وهذا الفعل من الأفعال المقدورة للعباد، ولهذا وكل الله سبحانه ملك الموت وأعوانه في قبض الأرواح حين موتها، أي حين موت الأبدان وخروج الروح منها وقبضها بعد خروجها. وهذا بخلاف الموت الذي لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، وهو من أفعاله التي لا يشاركه فيها أحد.

الثاني : أما استدلال القائلين بالولاية التكوينية للأئمة (ع) بهذه الآيات فهو استدلال في غير محله، حيث ذهبوا إلى أن ملك الموت قادر على الإماتة، وكذلك الملائكة الموكلون بقبض الأرواح، ولما كان الأئمة (ع) أفضل من الملائكة فهم قادرون على الإحياء والإماتة وخرق نواميس الطبيعة، وذلك كله بإذن الله. وقد خفي على هؤلاء أن لفظ ﴿بإذن الله﴾ معناه بأمر الله، ولما كان أمره سبحانه هو فعله، فالنتيجة أن الموت من فعل الله، وعلى هذا فقولهم إن الأئمة (ع) قادرون على الإماتة باطل كما قدمناه.

الثالث : أن القائلين بالولاية التكوينية استناداً على هذه

١- الطباطبائي: الميزان - ج ٧ - ص ١٣٠ .

الآيات التي تذكر التوفي، لم يفرقوا بين التوفي والموت، وعلى هذا، فالآيات لم تُسند إلى ملك الموت، أو إلى الملائكة، الموت، فلم تقل: تميتهم رسلنا، أو يميتهم ملك الموت، وهذا يدل صراحة على أن الموت في الآيات من فعل الله، وليس من فعل ملك الموت، أو الملائكة، بخلاف التوفي، فقد يكون من فعل الله، فيكون سبحانه هو الذي يقبض الروح حين الموت، كما يكون من فعل ملك الموت أو من فعل أعوانه.

الرابع : تدل هذه الآيات المباركة على حصر الولاية التكوينية في الله سبحانه، حيث إنه هو المتصرف في الخلق والحياة والإماتة، ولا يمكن لأحد أن يتصرف في أفعاله وصفاته الفعلية، ولم يفوض أو يوكل لأي مخلوق هذه الأفعال، لئلا يشاركه فيها، وبهذا يبطل قول القائل بالولاية التكوينية لغير الله سبحانه.

الدليل الخامس

وهذا الدليل فيه طائفة من الآيات تدل على حصر الولاية التكوينية بالله سبحانه منها:

الآية الأولى: قوله تعالى في سورة المائدة، آية ١١٤، ١١٥ :

﴿قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين، قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني

أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين﴾.

والملاحظ في هذه الآية عدة أمور :

الأمر الأول: قوله تعالى: **﴿قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء﴾**، حيث دعا الله سبحانه بأن ينزل عليهم مائدة من السماء، وذلك عندما طلب منه الحواريون أن ينزل عليهم مائدة من السماء، وهنا نجد نبي الله عيسى (ع)، لم يستعمل هذه الولاية وحق التصرف، وإنما توجه إلى الله بدعائه، بأن ينزل عليهم مائدة من السماء، إذن فما فائدة الولاية التكوينية المدعاة، إذا لم يكن صاحبها قادراً على استعمالها في مثل هذه المواقف، ولذا تشير الآية المباركة إلى أن عيسى (ع) توجه إلى الواحد الأحد الخالق القادر الذي بيده ملكوت كل شيء، توجه إليه سبحانه بدعاء العاجز، لأنه (ع) يعلم أن مثل هذا الطلب خارج عن مقدور البشر، وليس من حقه (ع) أن يقول لهم: إني أقدر على أن أنزل عليكم مائدة من السماء، لأن الله سبحانه أقدرني على ذلك، بل توجه إلى الله بهذا الدعاء، دعاء المتوسل الخاضع بقوله: **﴿اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا﴾**، ولم يستثن نفسه (ع).

الأمر الثاني: قوله تعالى: **﴿وآية منك﴾**. وهذا دليل على أن إنزال المائدة آية ومعجزة من الله سبحانه، وذكرنا فيما تقدم، أن المعجزة من فعل الله يجريها على أيدي أنبيائه ورسله (ع).

الأمر الثالث: قوله تعالى: **﴿وارزقنا وأنت خير الرازقين﴾**،

حيث تشير هذه الآية، إلى عدم قدرة الأنبياء (ع) على الرزق، لأن الأرزاق كلها بيد الله سبحانه، ولهذا توجه عيسى (ع) بدعائه هذا إلى الله ليرزقهم، وحصر الرزق فيه وحده لا يشاركه فيه أحد، وذلك في قوله: **﴿وأنت خير الرازقين﴾**، فلو كان لعيسى (ع) مثل هذه الولاية وحق التصرف، لقال لهم، إني أقدر بالقدرة التي أعطانيها الله سبحانه، أن أرزقكم، وأنزل عليكم المائدة التي طلبتموها مني ولكن عيسى (ع) لم يقل ذلك، لئلاّ يجعل مع الله شريكاً في قدرته.

الأمر الرابع: قوله تعالى: **﴿قال الله إني منزلها عليكم﴾**، وهذا التنزيل من قبل الله دليل على عدم قدرة عيسى (ع) على إنزال المائدة من السماء من قبل نفسه، وإنما نزلت من قبل الله سبحانه بدعائه (ع).

الأمر الخامس: ما جاء في تفسير الآية، نذكر جملة منها:

يقول محمد جواد مغنية في تفسيره: **«لما رأى عيسى (ع) الإصرار من الحواريين، وعلم أنهم لا يقصدون العنت والتعجيز، دعا الله سبحانه بدعاء العبد الخاضع المتضرع، ﴿قال الله إني منزلها عليكم﴾ استجاب سبحانه لتضرع عبده عيسى ليزداد أصحابه ثقة به وإيماناً بنبوته، وبذلك تلزمهم الحجة البالغة إن عاكسوا أو شاكسوا»** [1].

وجاء في التفسير الكاشف: **﴿قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا**

١- محمد جواد مغنية: التفسير المبين - ص ١٦٠ .

أنزل علينا مائدة من السماء﴾ الآية «.. دعا الله سبحانه بدعاء الخاضع المتضرع لسيده، منادياً: يا ربنا.. منك.. وأنت.. إلخ، دفعاً لكل شبهة وتكذيباً لكل زاعم أن لعيسى فيها يداً، وأنها من صنعه، لا من صنع الواحد الأحد.. والمراد بالآية المعجزة، وبالعيد الفرحة والسرور. ﴿قال الله إني منزلها عليكم﴾ استجاب سبحانه لتضرع عيسى ليزداد أصحابه ثقة به وإيماناً بنبوته»[1].

يقول الطباطبائي في الميزان: «ولما سأل عيسى (ع) ربه ما سأل.. وحاشا أن يسأل إلا ما يعلم أن من المرجو استجابته، وأن ربه لا يمقته ولا يفضحه، وحاشا ربه أن يرده خائباً في دعائه، استجاب له ربه دعاءه غير أنه شرط فيها لمن يكفر بها عذاباً يختص به من بين جميع الناس، كما أن الآية آية خاصة بهم.. فقال الله سبحانه: ﴿إني منزلها عليكم﴾»[2]. وهذا من أظهر الأدلة على نفي الولاية التكوينية عن الأنبياء (ع).

وجاء في تفسير الجوهر الثمين: ﴿قال عيسى ابن مريم، اللهم، ربنا.. إلى قوله : وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين﴾، ﴿وآية﴾، كائنة، ﴿منك﴾ على قدرتك ونبوتي، ﴿وارزقنا﴾ إياها أو شكرها، ﴿وأنت خير الرازقين﴾، لأنك خالق الرزق ومعطيه بلا عوض، ﴿قال الله إني منزلها عليكم﴾، إجابة لسؤالكم[3].

يقول الشيخ محمد السبزواري في تفسيره: «قال عيسى ابن

١- محمد جواد مغنية: التفسير الكاشف - جـ ٧ - ص ١٤٩ .
٢- الطباطبائي: الميزان - جـ ٦ - ص ٢٢٨ .
٣- عبدالله شبر: الجوهر الثمين - جـ ٢ - ص ٢٢٩ .

مريم: اللهم ربنا.. توجه عيسى (ع) إلى الله، وكان من شأنه أن يناديه بقوله: اللهم، ثم استدرك سلام الله عليه أنه يستدر عطف الله ورحمته باستنزال مائدة على عباده.. إلى قوله: ﴿وآية منك﴾ أي علامة معجزة دالة على قدرتك الكاملة وعلى صدق نبوتي ورسالتي، ﴿وارزقنا﴾ هذه المائدة.. ﴿قال الله إني منزلها عليكم﴾ أي أجاب سبحانه شاهد الحال الذي هو إنزال المائدة.. ﴿فمن يكفر بعد منكم﴾ أي ينكر شيئاً يتعلق بربوبيتي وبرسالة رسلي، وباستجابة دعائه وبآيتي هذه..» [1]. ولهذا يقول الطوسي في تفسير الآية: «.. أخبر الله تعالى عن عيسى (ع) أنه سأل ربه أن ينزل عليه مائدة من السماء..» [2]. وهكذا دلت الآية الكريمة على حصر الولاية التكوينية في الله سبحانه.

الآية الثانية: قوله تعالى في سورة الأنفال، آية ١٧ : **﴿فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾**

هذه الآية المباركة تؤكد انحصار الولاية التكوينية بالله سبحانه، وتنفيها عن نبيه وصفيه محمد (ص)، وذلك، أن الرمي، وإن كان صادراً عن النبي (ص) ولكن تأثيره وإيصاله إلى أعين جميع الكفار ليس من مقدور النبي (ص)، ولا من مقدور غيره من العباد من ملائكة وأنبياء (ع)، وبهذا وردت تفاسير الشيعة،

١- محمد السبزواري: الجديد في تفسير القرآن - جـ ٢ - ص ٥٤٠ .
٢- الطوسي: التبيان - جـ ٤ - ص ٦١، ٦٢ .

نذكر جملة منها:

يقول المشهدي في تفسيره: «**﴿وما رميت﴾ يا محمد رمياً يوصلها إلى أعينهم، ولم تقدر عليه، ﴿ولكن الله رمى﴾، أي أتى بما هو غاية الرمي فأوصلها إلى أعينهم حتى انهزموا**» [1]. ولهذا يقول الطبرسي في تفسير الآية: «**فعلى هذا إنما أضاف الرمي إلى نفسه لأنه لا يقدر أحد غيره على مثله فإنه من عجائب المعجزات**» [2]. ونحن نعلم أن المعجز من فعل الله سبحانه دون سواه.

يقول الفيض الكاشاني في تفسيره: «**.. فنزلت آية الرمي لرسول الله (ص) لأنه وجد منه صورة ونفاه عنه معنى، لأن أثره الذي لا يدخل في قدرة البشر فعل الله سبحانه، فكأنه فاعل الرمية على الحقيقة وكأنها لم توجد من الرسول**» [3]. ولهذا جاء عن السيد عبدالله شبر في تفسير الآية: «**.. وروي أنه حين رماها لم يبق مشرك إلا شغل بعينيه فانهزموا.. فنزلت، وأثبت الرمي له (ص) لأنه أوجده صورة، ونفاه عنه، لأن أثره فعل الله لا يدخل في قدرة البشر**» [4].

يقول نور الدين الكاشاني في تفسيره: «**﴿وما رميت﴾ يا محمد (ص)، ﴿إذ رميت ولكن الله رمى﴾، أثبت لرسوله صورة الرمي،**

١- المشهدي: كنز الدقائق - جـ ٤ - ص ٣٦ .
٢- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٤ - ص ٦٥٥ .
٣- الفيض الكاشاني: الصافي - جـ ٢ - ص ٢٨٧ .
٤- عبدالله شبر: الجوهر الثمين - جـ ٣ - ص ١٤ .

ونفى عنه أثرها الذي لا يطيقه البشر، فكأنه فاعلها حقيقة أو كأنها لم توجد من الرسول [1].

وبهذا المعنى جاء عن الطباطبائي: «.. **الرمي الذي شتت شملهم ألقى الهزيمة فيهم إليه سبحانه دون المؤمنين، والتقدير: إنما فعل الله ما فعل من قتلهم ورميهم لمصالح عظيمة عنده..**» [2]. يقول السبزواري: «.. **وكان هذا العمل سبب هزيمة المشركين، فقد أضاف الله تعالى الرمي إلى نفسه لأنه لا يقدر غيره على مثله إذ هو من أعظم المعاجز**» [3]. والمعجز كما قلنا من فعل الله سبحانه، وبهذا يبطل استدلال من يستدل بهذه الآية على الولاية التكوينية للأنبياء والأئمة (ع).

الآية الثالثة: قوله تعالى في سورة يونس آية ٤٢: ﴿**ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون**﴾.

هذه الآية الشريفة لها علاقة بالآية السابقة من حيث، أن الله سبحانه نفى القدرة والولاية التكوينية عن النبي (ص)، وذلك في قوله ﴿**أفأنت تسمع الصم**﴾، أي أنك لا تقدر على إسماع الصم، الذي لا يسمع، وإنما القادر على ذلك هو الله وحده لا شريك له في قدرته. يقول الطبرسي في تفسير الآية: «**هذا خطاب للنبي (ص) بأنه لم يقدر على إسماع الصم.. ﴿أفأنت تهدي العمي ولو**

١- نور الدين الكاشاني: تفسير المعين - جـ ١ - ص ٤٥٠ .

٢- الطباطبائي: الميزان - جـ ٩ - ص ٣٩ .

٣- محمد السبزواري: الجديد في تفسير القرآن - جـ ٣ - ص ٢٦٨ .

كانوا لا يبصرون﴾، أي فكما أنك لا تقدر أن تبصر العمي فتنفعهم به، كذلك لا تقدر أن تنفع بما تأتي به من الأدلة من ينظر إليها، [1]. وهذا من الأدلة الصريحة على نفي الولاية التكوينية وحق التصرف في شؤون الكون عن جميع العباد بما فيهم الملائكة والأنبياء والأئمة (ع). ودليل ذلك ما يقوله الطباطبائي في تفسير الآية: **«والمعنى ومنهم الذين يستمعون إليك وهم صم لا سمع لقلوبهم، ولست أنت قادراً على إسماعهم ولا سمع لهم»** [2].

يقول الطوسي في تفسير الآية: ﴿أفأنت تسمع الصم﴾، **«خطاب للنبي (ص) بأنه لا يقدر على إسماع الصم الذين لا يسمعون، وبهم صم، وهم الذين ولدوا صماً.. وقوله: ﴿ولو كانوا لا يعقلون﴾، .. وأن النبي (ص) لا يقدر على إسماعهم على وجه ينتفعون به إذا لم يسمعوا بنفوسهم.. كما لا يقدر على إسماع الصم»** [3]. ولهذا يقول مغنية: **«أي كما أنك لا تقدر أن تجعل الأصم سميعاً، والأعمى بصيراً كذلك لا تستطيع أن تهدي بالقرآن من يستمع وينظر إليك من خلال أهوائه وأغراضه»** [4]. وهذه الآية صريحة على بطلان من يذهب إلى القول من عدم وجود دليل على نفي الولاية التكوينية عن النبي (ص) والأئمة (ع).

١- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٥ - ص ١٤٤ .
٢- الطباطبائي: الميزان - جـ ١٠ - ص ٦٨ .
٣- الطوسي: التبيان - جـ ٥ - ص ٣٨١، ٣٨٢ .
٤- محمد جواد مغنية: التفسير الكاشف - جـ ١١ - ص ١٦٢ .

الآية الرابعة: قوله تعالى في سورة الأعراف آية ٥٤ : **﴿ألا له الخلق والأمر﴾**. فالخلق وهو عالم التكوين المعبر عنه «بكن فيكون»، والأمر وهو عالم التشريع والتقنين، وهذه الآية المباركة جمعت بين التكوين والتشريع، وكل منهما منحصر في الله سبحانه، يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: «.. **اعلموا أن خلق الكون وتدبير أموره كله بيده سبحانه دون سواه، ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ .. إن المراد من ﴿الخلق﴾ هو الخلق والإيجاد الأول، والمراد من ﴿الأمر﴾ هو السنن والقوانين الحاكمة على عالم الوجود بأسره بأمر الله تعالى**» [١].

يقول مغنية في تفسيره: **﴿ألا له الخلق والأمر﴾**، «**وفي الحديث: من زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيئاً فقد كفر بما أنزل على أنبيائه بقوله: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾. ﴿تبارك الله رب العالمين﴾، تعالى بوحدانيته وملكه وتدبيره**» [٢]. ولهذا يقول الطوسي: **﴿ألا له الخلق والأمر﴾** «**إنما فصل الخلق من الأمر، لأن فائدتهما مختلفة، لأن ﴿له الخلق﴾ يفيد أن له الاختراع، ﴿والأمر﴾، معناه له أن يأمر فيه بما أحب**»[٣]. ويؤكد هذا ما جاء عن السبزواري في تفسير الآية: «.. **أي أنه الخالق المبدع الذي لا يستطيع الخلقَ غيرُه، وهو الأمر في خلقه وليس لأحد أن يأمر**

١- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل - جـ ٥ - ص ٧٠، ٧١ .
٢- محمد جواد مغنية: التفسير الكاشف - جـ ٨ - تفسير الآية.
٣- الطوسي: التبيان - جـ ٤ - ص ٤٢٣ .

في خلقه غيره، ﴿تبارك الله رب العالمين﴾، خالقهم ومالكهم والمتصرف بأمورهم» [1].

يقول المشهدي في تفسيره: **﴿ألا له الخلق والأمر﴾، «فإنه الموجد والمتصرف إذ له عالم الأجسام وعالم الأرواح»** [2]. وبهذا المعنى جاء عن الفيض الكاشاني: **«﴿ألا له الخلق﴾ عالم الأجسام ﴿والأمر﴾ عالم الأرواح، تبارك الله رب العالمين، تعالى بالوحدانية في الألوهية وتعظم بالفردانية في الربوبية»** [3]. وهذا يدل على أن المتفرد في عالم التكوين والتشريع هو الله وحده لا شريك له، لئلا يختل نظام التوحيد.

الآية الخامسة: قوله تعالى في سورة الأنعام آية ٥٨ : **﴿قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين﴾.**

هذه الآية المباركة تنفي القدرة والولاية التكوينية عن النبي (ص)، وتحصرها في الله سبحانه، يقول الطبرسي: **«﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار، ﴿لو أن عندي﴾، أي برأي وإرادتي ﴿ما تستعجلون به﴾، من إنزال العذاب بكم، ﴿لقضي الأمر بيني وبينكم﴾، أي لفرغ من الأمر بأن أهلككم فأستريح منكم، غير أن الأمر فيه إلى الله تعالى، ﴿والله أعلم بالظالمين﴾، وبوقت عذابهم**

١- محمد السبزواري: الجديد في تفسير القرآن - جـ ٢ - ص ١٥٢ .
٢- المشهدي: كنز الدقائق - جـ ٢ - ص ٥١١ .
٣- الفيض الكاشاني: الصافي - جـ ٢ - ص ٢٠٥ .

وما يصلحهم، وفي هذا دلالة على أنه سبحانه إنما يؤخر العقوبة لضرب من المصلحة، إما لأن يؤمنوا أو لغير ذلك من المصالح، فهو يدبر ذلك على حسب ما تقتضيه الحكمة» [1].

ويؤكد ذلك ما يقوله الطباطبائي في تفسيره: «قوله تعالى: ﴿إن الحكم إلا لله﴾، أريد بالحكم فيه القضاء التكويني، وبالجملة تعليل للنفي في قوله: ﴿ما عندي ما تستعجلون به﴾، والمعنى، أن الحكم لله وحده، وليس إليّ أن أقضي بيني وبينكم، وهو الذي تستعجلون به باستعجالكم بما تقترحون عليّ من الآية» [2].

ويقول أيضاً: ﴿قل إني على بينة من ربي.. والله أعلم بالظالمين﴾، حيث يدل المجموع على أن ما كانوا يقترحونه من الآية وما يستتبعه من الحكم الفصل والقضاء بينه وبينهم، إنما هو عند الله لا سبيل إليه لغيره فهو العالم بذلك الحاكم به، ولا يغلط في حكمه الفصل وتعذيب الظالمين، لأنه أعلم بهم، فهو عالم بالغيب لا يشاركه فيه غيره» [3].

يقول مغنية: ﴿ما عندي ما تستعجلون به﴾، «دعاهم النبي (ص) إلى الإيمان، قالوا له: أمطر علينا حجارة من السماء، قال لهم: هذا بيده تعالى، ﴿إن الحكم إلا لله يقص الحق﴾، يقول الحق ويفعله، ﴿قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم﴾، بإهلاك من ظلم منكم غضباً لله تعالى» [4].

١- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٤ - ص ٣٨٧ .

٢- الطباطبائي: الميزان - جـ ٧ - ص ١١٧ .

٣- نفس المصدر: ص ١٢٤، وانظر الطوسي: التبيان - جـ ٤ - ص ١٥٣، ١٥٤ .

٤- مغنية: التفسير المبين - ص ١٧١ .

ولهذا جاء عن السيد عبدالله شبر في تفسيره: «﴿قل لو أن عندي﴾ في قدرتي ﴿ما تستعجلون به﴾ من العذاب، ﴿لقضي الأمر بيني وبينكم﴾، بأن أهلككم، ولكنه عند الله» [1].

يقول ناصر مكارم الشيرازي: ﴿وما عندي ما تستعجلون به﴾، لأن الأعمال والأوامر كلها بيد الله، ﴿إن الحكم إلا لله﴾.. إن معنى ﴿إن الحكم إلا لله﴾، واضح، أي أن كل أمر في عالم الخلق والتكوين وفي عالم الأحكام والتشريع بيد الله، وبناء على ذلك إذا كان لرسول الله (ص) أن يقوم بمهمة فذلك أيضاً بأمر من الله» [2].

يقول السبزواري في تفسير الآية: «﴿ما عندي ما تستعجلون به﴾، أي ليس بيدي إنزال العذاب الذي تطلبونه وتستعجلون وقوعه، كقولكم: فأمطر علينا حجارة من السماء أو آتنا بعذاب أليم. ﴿إن الحكم إلا لله﴾، أي أن القضاء بذلك بيد الله فهو وحده يملك التقديم والتأخير.. ﴿قل لو أن عندي ما تستعجلون به﴾، أي أن ما تطلبون تعجيله من نزول العذاب على المنكرين، لو كان بيدي وكنت أملك أمره ﴿لقضي الأمر بيني وبينكم﴾، أي لحكمت حالاً غضباً مني لربي عز وجل ولفصلت النزاع بيني وبينكم» [3].

١- عبدالله شبر: الجوهر الثمين - جـ ٢ - ص ٢٦٦ .

٢- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل - جـ ٤ - ص ٢٨٩، ٢٩١ .

٣- محمد السبزواري: الجديد في تفسير القرآن - جـ ٢ - ص ٢٨ .

الآية السادسة: قوله تعالى في سورة القصص آية ٦٨ : **﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾.**

تحدد هذه الآية المباركة، أن الخلق الذي هو بمعنى إيجاد شيء من لا شيء، وهو عالم التكوين والإيجاد بيده سبحانه لا يشاركه فيه أحد، فهو الذي يخلق، وهو الذي يختار، وليس لأحد من خلقه الاختيار فيما يخلق، وليس لهم الحق بأن يجعلوا مع الله شريكاً في خلقه واختياره، وهذا هو معنى الولاية التكوينية المنحصرة به سبحانه. يقول الطباطبائي في تفسيره: **«والظاهر أن قوله: ﴿يخلق ما يشاء﴾، إشارة إلى اختياره التكويني.. ﴿ويختار﴾ إشارة إلى اختياره التشريعي الاعتباري، ويكون عطفه على قوله ﴿يخلق ما يشاء﴾، من عطف المسبب على سببه، لكون التشريع والاعتبار متفرعاً على التكوين والحقيقة.. ﴿ما كان لهم الخيرة﴾، هو الاختيار التشريعي الاعتباري»** [1].

ويقول أيضاً: **«والله سبحانه يملك الإنسان في نفسه وفي فعله الصادر منه ملكاً مطلقاً بالملك التكويني، وبالملك الوضعي الاعتباري، فلا خيرة له ولا حرية بالنسبة إلى ما يريده منه تشريعاً بأمر أو نهي تشريعيين، كما لا خيرة ولا حرية له بالنسبة إلى ما يشاؤه بمشيئته التكوينية، وهذا هو المراد بقوله: ﴿ما كان**

١- الطباطبائي: الميزان - جـ ١٦ - ص ٧٥ .

لهم الخيرة﴾ أي لا اختيار لهم إذا اختار الله سبحانه لهم شيئاً من فعل أو ترك حتى يختاروا لأنفسهم ما يشاؤون»[1].

ويقول أيضاً: «إذ لا قاهر يقهره على فعل ولا مانع يمنعه عن فعل، فهو مختار بحقيقة معنى الاختيار، هذا بحسب التكوين، والتشريع يتبعه، فإن حقيقة التشريع هي أنه فطر الناس على فطرة لا تستقيم إلا بإتيان أمور هي الواجبات وما في حكمها، وترك أمور هي المحرمات وما في حكمها، فما ينتفع به الإنسان في كماله وسعادته هو الذي أمر به وندب إليه، وما يتضرر به هو الذي نهى عنه وحذر منه، فله تعالى أن يختار في مرحلة التشريع من الأحكام والقوانين ما يشاء، كما أنه له أن يختار في مرحلة التكوين من الخلق والتدبير ما يشاء، وهذا هو معنى قوله: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾، وقد أطلق إطلاقاً»[2].

ولهذا يقول محمد جواد مغنية في تفسير الآية: «ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن»، ﴿ما كان لهم الخيرة﴾، لا أحد يملك مع الله شيئاً كي يشاء، ويختار، «وله الحكم»، وحده»[3].

يقول ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره: «فالخلق بيده والتدبير والاختيار بيده أيضاً، وهو ذو الإرادة، وليس لأحد سواه أن يفعل ما يشاء، فكيف بالأصنام؟ فاختيار الخلق بيده،

١- نفس المصدر: ص ٦٨ .

٢- نفس المصدر: ص ٦٦، ٦٧ .

٣- مغنية: التفسير المبين - ص ٥١٦، ٥١٧ .

والشفاعة بيده، وإرسال الرسل بيده أيضاً، والخلاصة أن اختيار كل شيء متعلق بمشيئته وإرادته المقدسة، فعلى هذا لا يمكن للأصنام أن تفعل شيئاً، ولا حتى الملائكة والأنبياء.. وعلى كل حال فإطلاق الاختيار دليل على عموميته.. بمعنى أن الله سبحانه صاحب الاختيار في الأمور التكوينية والأمور التشريعية أيضاً.. فجميعها يتعلقان به.. لذلك فإن الآية تنزه الله عن الشرك وتقول: ﴿سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾» [1]. وبهذا المعنى جاء في تفسير الكاشف: «﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾، الله هو الخالق المالك، ولا أحد يملك معه شيئاً، وكل افعاله حكمة وخير وصواب، وما لأحد أن يرد أو يعترض، فكيف ينسبون إليه الشركاء» [2].

وفي تفسير الصافي في تفسير الآية: «يعني ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه أو ليس لأحد أن يختار شيئاً إلا بقدرته ومشيئته واختياره ﴿سبحان الله﴾ تنزيهاً له أن ينازعه أحد أو يزاحم اختياره ﴿وتعالى عما يشركون﴾ عن إشراكهم» [3].

ويؤيد ذلك قوله تعالى في سورة آل عمران، آية ١٢٨ : ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ ﴿ليس لك﴾ يا محمد ﴿من الأمر شيء﴾، القصد من هذا وأمثاله أن لا يغالي المسلمون بمحمد كما غالى المسيحيون بالسيد المسيح» [4]. ويؤكد هذا المعنى ما جاء عن

١- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل - جـ ٢١ - ص ٢٥٧ .
٢- مغنية: التفسير الكاشف - جـ ٢٠ - ص ٨٢ .
٣- الكاشاني: الصافي - جـ ٤ - ص ٩٩ .
٤- مغنية: التفسير المبين - ص ٨٤ .

الطبرسي في تفسير الآية: «لما قال تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾، عقب ذلك بأن الأمر كله له فقال: ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض﴾، ملكاً وخَلقاً واقتداراً على الجميع يصرفهم كيف يشاء إيجاداً وإفناءً وإعادة» [1].

يقول البلاغي في تفسير الآية: ﴿ليس لك﴾ يا رسول الله ﴿من الأمر﴾ في شؤون الخلق من حيث الإيصال إلى الهدى والتوبة والتعذيب ونحو ذلك ﴿شيء﴾، مما يرجع إلى قدرة الله ولا داخل تحت قدرتك، فإنك بشر مخلوق، وإنما الأمر في ذلك لله» [2].

وبهذا تنحصر الولاية التكوينية في الله تعالى، وتنفيها عن غيره سبحانه. ودليله قوله تعالى أيضاً: ﴿بل لله الأمر جميعاً﴾، الرعد، ٣١ . يقول الطبرسي: «﴿بل لله الأمر جميعاً﴾ معناه أن جميع ما ذكر من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وإحياء الموتى وكل تدبير يجري هذا المجرى لله، لأنه لا يملكه سواه ولا يقدر عليه غيره» [3]. ولهذا يقول الطباطبائي: «.. بل الأمر كله لله ليس شيء منه لغيره حتى يتوهم متوهم أنه لو نزلت آية عظيمة.. لا بل الأمر لله جميعاً» [4].

الآية السابعة: ومن الآيات التي تحصر الولاية التكوينية بالله سبحانه، تلك الآيات التي تسند الخلق والرزق والإحياء والإماتة

١- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٢ - ص ٦٢٦ .
٢- البلاغي: آلاء الرحمن - جـ ١ - ص ٢٤١ .
٣- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٦ - ص ٢٧٩ .
٤- الطباطبائي: الميزان - جـ ١١ - ص ٢٥٩ .

إلى الله على نحو الحصر، فتكون له الحاكمية المطلقة في الخلق والإيجاد من دون استثناء وأنه لا أحد يشاركه في ذلك على الإطلاق، والسر في ذلك نفي الشريك عنه سبحانه، فله إذن الولاية التكوينية، ولا أحد غير الله يمتلك مثل هذه الولاية، والسلطة، ففي سورة النجم، آية ٤٤ نرى أنه سبحانه أسند الموت والحياة لذاته المقدسة في قوله تعالى: **﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾**. وفي بعضها نفى عن غيره الخلق مطلقاً، كما في قوله تعالى في سورة الفرقان آية ٣ : **﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً﴾** وفي بعض الآيات أسند خلق كل شيء له سبحانه، مثل قوله تعالى: **﴿وخلق كل شيء فقدّره تقديراً﴾**. وتارة ينفي سبحانه عن غيره مالكية الموت والحياة، كما في قوله: **﴿ولا يملكون موتاً ولا حياة﴾**، فالذي لا يملك القدرة على الإحياء فلا يملك ولاية التصرف في شؤون العالم، وبالتالي تنتفي منه الولاية التكوينية.

أما الآية الأولى، وهي قوله تعالى: **﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾**، يقول الفيض الكاشاني في تفسيرها: **«لا يقدر على الإماتة والإحياء غيره»** [1]. وبهذا المعنى يقول الطبرسي: **﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾ «أي خلق الموت فأمات به الأحياء، لا يقدر على ذلك غيره، لأنه لو قدر على الموت لقدر على الحياة فإن القادر على الشيء قادر على ضده، ولا يقدر أحد على الحياة إلا الله تعالى»** [2].

١- الفيض الكاشاني: الصافي - جـ ٥ - ص ٩٦ .

٢- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٩ - ص ٢٣٢ .

وبهذا تنحصر الولاية التكوينية به سبحانه، ويؤيد ذلك ما يقوله السيد عبدالله شبر: ﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾، «بخلقه الموت والحياة، ولا قدرة لغيره عليهما» [1].

يقول الطوسي: ﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾، «معناه أنه تعالى الذي يخلق الموت فيميت به الأحياء لا يقدر على الموت غيره، لأنه لو قدر على الموت غيره لقدر على الحياة، لأن القادر على الشيء قادر على ضده، ولا أحد يقدر على الحياة إلا الله، وقوله ﴿وأحيا﴾، أي هو الذي يقدر على الحياة التي يحيي بها الحيوان لا يقدر عليها غيره من جميع المحدثات» [2]. ويؤكد ذلك ما يقوله السبزواري في تفسير الآية: «.. وما من أحد يملك هذه القدرة غيره» [3].

يقول المشهدي: «﴿أنه هو أمات وأحيا﴾ لا يقدر على الإماتة والإحياء غيره، فإن القاتل ينقض البنية، والموت يحصل عنده بفعل الله على العادة» [4].

وأما قوله تعالى: ﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً﴾ فقد جاء في تفسيرها.. وتفسير قوله تعالى: ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ «مما يطلق عليه اسم المخلوق.. ﴿ولا يملكون موتاً ولا حياة﴾ أي لا يستطيعون إماتة ولا إحياء، ﴿ولا نشوراً﴾، ولا إعادة بعد الموت.. فإن جميع ذلك يختص الله تعالى بالقدرة

١- عبدالله شبر: الجوهر الثمين - جـ ٦ - ص ١١١ .
٢- الطوسي: التبيان - جـ ٩ - ص ٤٢٤، ٤٢٥ .
٣- محمد السبزواري: الجديد في تفسير القرآن - جـ ٧ - ص ٥٣ .
٤- المشهدي: كنز الدقائق - جـ١٠ - ص ١٠٨ .

عليه، والمعنى، فكيف يعبدون من لا يقدر على شيء من ذلك ويتركون عبادة ربهم الذي يملك ذلك كله» [1]. ولهذا يقول الطباطبائي: «لما نعت نفسه بأنه خالق كل شيء ومقدره وأن له ملك السماوات والأرض.. أشار إلى ضلالة المشركين حيث عبدوا أصناماً ليست بخالقة شيئاً بل هي مخلوقة.. فقوله تعالى: ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ تقرير وبيان لمعنى عموم الملك وأنه ملك متقوم بالخلق والتقدير موجب لتصديه تعالى لكل حكم وتدبير من غير أن يفوّض شيئاً من الأمر إلى أحد من الخلق» [2]. «وملكه تعالى للسماوات والأرض يستلزم استناد الخلق والتقدير والتدبير إليه، فلذلك لم يكف قوله: ﴿الذي له ملك السماوات والأرض﴾ لإثبات اختصاص الربوبية به تعالى.. بل احتج إلى الإتيان بقوله.. تعالى.. ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ .. بيان لرجوع تدبير عامة الأمور إليه تعالى وحده بالخلق والتقدير، فهو رب العالمين لا رب سواه.. وإذ لا خالق غير الله سبحانه فلا مدبر للأمر غيره، فلا رب يملك الأشياء ويدبر أمرها غيره.. فكونه تعالى له ملك السماوات والأرض حاكماً متصرفاً فيها على الإطلاق يستلزم قيام الخلقة به. إذ لو قامت بغيره كان الملك، لذلك الغير، وقيام الخلقة به يستلزم قيام التقدير به، لكون التقدير متفرعاً على الخلقة، وقيام التقدير به

١- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٧ - ص ٢١١ .

٢- الطباطبائي: الميزان - جـ ١٥ - ص ١٧٧ .

يستلزم قيام التدبير به فله الملك والتدبير فهو الرب عز شانه، [1].

يقول المحدث المجلسي في معرض تفسيره لقوله تعالى: **﴿قل الله خالق كل شيء﴾: «يدل هذا على عدم جواز نسبة الخلق إلى الأنبياء والأئمة (ع)، وكذا قوله تعالى ﴿هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء﴾ فإنه يدل على عدم جواز نسبة الخلق والرزق والإماتة والإحياء إلى غيره سبحانه وانه شرك»** [2].

الآية الثامنة: قوله تعالى في سورة القصص آية ٣١ : **﴿وأن ألقِ عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولّى مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين﴾.**

استدل بعض من لا نظر له بطرق الاستدلال بهذه الآية المباركة على ثبوت الولاية التكوينية للمعصوم (ع) وأنها حق طبيعي له، مع أن الآية من الآيات الواضحة على نفي الولاية التكوينية عن غير الله سبحانه وإثباتها له تعالى، والدليل على ذلك، أنه لو كان قلب العصا حية لها لحم وروح من فعل موسى (ع) لما صح أن يقال: **﴿فلما رآها تهتز كأنها جان ولّى مدبراً﴾** من الخوف والهلع، فكيف يخاف من له القدرة على جعل العصا حية وهي من فعله ثم يولي مدبراً خائفاً مما أوجده وخلقه، فالآية

١- نفس المصدر: ص ١١٦ .

٢- انظر جعفر السبحاني: معالم التوحيد في القرآن الكريم - ص ٤٢٣، ٤٢٤ . نقلاً عن بحار الأنوار للشيخ المجلسي- ج ٢٥ - ص ٣٢٠ - ٣٣٠ .

المباركة تدل بصراحة على أن انقلاب العصا حية خارج عن قدرة البشر، بل هو من فعل الله سبحانه، لا من فعل موسى (ع)، والدليل على ذلك قوله تعالى: **﴿قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾** فالإعادة هنا كذلك من فعل الله لا من فعل موسى (ع). يقول الشيخ الطوسي: «**﴿قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى﴾ حكاية عما أمر الله تعالى موسى بأن يلقي العصا من يده وأن موسى ألقاها، فلما ألقاها صارت في الحال حية تسعى، خرق الله العادة فيها وجعلها معجزة ظاهرة باهرة. ﴿قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾ أخبر الله تعالى أن العصا حين صارت حية تسعى خاف موسى منها، فقال الله له ﴿خذها﴾ يا موسى، فإنا، ﴿سنعيدها﴾ إلى ما كانت أول شيء في يدك عصا**»[1]. وأنت ترى أن صيرورة العصا حية من فعل الله، وإعادتها مرة ثانية عصا كذلك من فعل الله، لا من فعل موسى (ع)، إذن فأين الولاية التكوينية وأنها حق طبيعي للمعصوم.

ويؤيد ذلك ما يقوله الطبرسي في تفسير الآية: «**﴿وأن ألق عصاك﴾ لأنهم لما رأوا تلك الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة في العصا علموا أنه أمر سماوي لا يقدر عليه غير الله تعالى، فمن تلك الآيات قلب العصا حية، ومنها أكلها حبالهم وعصيهم مع كثرتها.. إلى قوله: كل من هذه الأمور يعلم كل عاقل أنه لا يدخل تحت مقدور البشر، فاعترفوا بالتوحيد والنبوة.. ﴿وألقي السحرة**

١- الطوسي: التبيان - ج ٧ - ص ١٤٨ .

ساجدين﴾ يعني أن السحرة لما شاهدوا تلك الآيات وعلموا أنها من عند الله تعالى آمنوا بالله تعالى وبموسى» [1]. ولهذا يقول السيد الطباطبائي: «**والتعبير عن العصا بما في يمينك من ألطف التعبير وأعمقه، فإن فيه إشارة إلى أن ليس للشيء من الحقيقة إلا ما أراد الله، فإن أراد لما في اليمين أن يكون عصا كان عصا وإن أراد أن يكون حية فكان حية**» [2]. وهذا هو معنى انحصار الولاية التكوينية في الله سبحانه. إلى غير ذلك من الأقوال أعرضنا عن ذكرها للاختصار.

الآية التاسعة: قوله تعالى في سورة الأنبياء آية ٦٩ : **﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾**.

من الآيات التي استدل بها القائلون بالولاية التكوينية للأنبياء والأئمة (ع)، وأنها حق من حقوقهم قوله تعالى: **﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾**، وهذا الاستدلال في غير محله، لأنه لو كانت الولاية التكوينية حقاً طبيعياً لإبراهيم (ع)، لكان من الواجب عليه (ع) أن يستعمل هذا الحق وهذه السلطة والقدرة، بأن يجعل النار برداً وسلاماً عليه، ولكن الله سبحانه نفى هذه الولاية عن إبراهيم (ع) في قوله: **﴿يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾**، فالكينونة هنا من الله، لأنها من فعله سبحانه ولم ينسب ذلك إلى نبيه وخليله إبراهيم (ع) وهذا يؤكد أن حق

١- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٤ - ص ٥٧٣ .

٢- الطباطبائي: الميزان - جـ ١٤ - ص ١٧٩ .

الولاية التكوينية من اختصاصه سبحانه، ولهذا يقول الطباطبائي في تفسير الآية: «**خطاب تكويني للنار تبدلت به خاصة حرارتها واحراقها وإفناؤها برداً وسلاماً بالنسبة إلى إبراهيم (ع) على طريق خرق العادة**» [1]. وهذا يؤكد كون الولاية التكوينية منحصرة في الله سبحانه وبطلان من استدل بها على ولاية الأنبياء والأئمة (ع).

ويؤيد ذلك ما يقوله الطوسي في تفسير الآية: «**فقال الله تعالى عند ذلك للنار: ﴿كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾، وقيل في وجه كون النار برداً وسلاماً قولان: أحدهما: أنه تعالى أحدث فيها برداً بدلاً من شدة الحرارة التي فيها، فلم تؤذه، والثاني: أنه تعالى حال بينها وبين جسمه، فلم تصل إليه**» [2]. وهذا دليل آخر على عدم قدرة نبي الله إبراهيم (ع) أن يجعل النار برداً وسلاماً عليه، لأن ذلك خارج عن مقدور العباد، وبهذا تنتفي الولاية التكوينية عن المعصوم (ع)، وأنها حق طبيعي له. ويؤيد ذلك ما جاء في كتاب الاحتجاج عن الصادق (ع) قال: «**قال رسول الله (ص) : «أن إبراهيم لما ألقي في النار قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتني منها فجعلها الله برداً وسلاماً**» [3]. بدعاء إبراهيم (ع)، وهذا من الأدلة الواضحة على أن المعجزة من فعل الله سبحانه يجريها على أيدي أنبيائه

١- نفس المصدر: ص ٣٠٢ .

٢- الطوسي: التبيان - جـ ٧ - ص ٢٣٢، ٢٣٣ .

٣- المشهدي: كنز الدقائق - جـ ٦ - ص ٤٠٠ .

بدعائهم عليهم السلام.

ومن الأدلة على صيرورة النار برداً وسلاماً على إبراهيم (ع) وأنها من فعل الله سبحانه ما يقوله ناصر مكارم الشيرازي في تفسير الآية: «**لا شك أن أمر الله هنا كان أمراً تكوينياً، كالأمر الذي يصدره في عالم الوجود إلى الشمس والقمر، والأرض والسماء، والماء والنار، والنبات والطيور، والمعروف أن النار قد بردت برداً شديداً.. وحسب قول بعض المفسرين: إن الله سبحانه لو لم يقل: ﴿سلاماً﴾، لمات إبراهيم من شدة البرد.. إلا أن مجمل الكلام أنه في فلسفة التوحيد لا يصدر أي شيء عن أي سبب إلا بأمر الله، فيقول يوماً للسكين التي في يد إبراهيم: لا تقطعي، ويقول يوماً آخر للنار: لا تحرقي، ويوماً آخر يأمر الماء الذي هو أساس الحياة أن يغرق فرعون والفراعنة**»[1]. وهذا يؤكد انحصار الولاية التكوينية بالله سبحانه ونفيها عن غيره مطلقاً. ودليل ذلك ما جاء عن السبزواري في تفسيره: «**﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾، «أي قال الله تبارك وتعالى: أيتها النار ابردي برداً لا يضره، وكوني سلاماً عليه، فلم تحرق منه إلا وثاقه، وزال حرها فلم يصل إليه منه شيء بأمر تكويني ممن خلق النار وجعل فيها الحر واللهب.. وخرج منها سالماً معافى بقدرة الله عز وجل**»[2].

ويستفاد من كل ذلك، أن القائلين بالولاية التكوينية للمعصوم

١- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل - جـ ١٠ - ص ١٧٦ .

٢- محمد السبزواري: الجديد في تفسير القرآن - جـ ٤ - ص ٥٠٩ .

(ع) واستدلالهم بهذه الآية المباركة استدلال باطل، لأن الآية لا تدل على ذلك لا بالمطابقة ولا بالتضمن ولا بالالتزام، بل إنها صريحة على كون الولاية التكوينية وحق التصرف في عالم الوجود والإيجاد من اختصاصه سبحانه لا يشاركه فيه أحد من عباده على الإطلاق. وأما المعصوم (ع)، فدعاؤه مستجاب، ويكفيه ذلك فخراً وعزة ومكانة عند الله عز وجل، وعدم القول بولايته التكوينية ليس انتقاصاً منه (ع) بل رفعة له من أن يكون شريكاً مع الله في أفعاله سبحانه.

والمتدبر في الآيات القرآنية التي اعتمد عليها القائلون بالولاية التكوينية للأنبياء والأئمة (ع)، سيجدها كلها من فعل الله سبحانه، لا من فعل المعصوم (ع)، مثل قوله تعالى: **﴿وسخرنا له﴾**، فالتسخير من الله إلى نبيه، ومثل: **﴿وألنا له الحديد﴾**، فتليين الحديد من فعل الله لا من فعل نبيه، فعن القمي: «.. **ألان الله له الحديد مثل الشمع حتى كان يتخذ منه ما أحب**»[1] وقال الصادق (ع) : «**اطلبوا الحوائج يوم الثلاثاء، فإنه اليوم الذي ألان الله فيه الحديد لداود (ع)**»[2]. إلى غير ذلك من الآيات والروايات الدالة على حصر الولاية التكوينية بالله سبحانه اكتفينا بهذا القدر من الأدلة ففيها الكفاية لطالب الحق والهداية والحمد لله رب العالمين.

١- الكاشاني: الصافي - جـ ٤ - ص ٢١٢ .

٢- الحويزي: نور الثقلين - جـ ٤ - ص ٢١٥ .

أدلة انحصار الولاية التشريعية بالله سبحانه

عرضنا فيما تقدم أدلة انحصار الولاية التكوينية بالله سبحانه، بقي علينا أن نشير إلى أدلة انحصار الولاية التشريعية به سبحانه، فكما أن لله عز وجل الولاية في التكوين والإيجاد، كذلك له سبحانه وحده الولاية في التشريع وسن القانون، **﴿ألا له الخلق﴾** وهو عالم التكوين، **﴿والأمر﴾** وهو عالم التشريع. يقول الشيخ جعفر السبحاني: **«لا مناص من القول بأن التقنين والتشريع الذي هو نوع تدبير لحياة الفرد والمجتمع مختص بالله سبحانه، وليس لأحد ذلك الحق.. ولا مشرع إلا الله وحده»** [1].

ويقول أيضاً: **«إن حق التشريع على العباد من شؤون الربوبية، فمن أعطى زمام التشريع إلى غيره سبحانه فقد اتخذه رباً ولو في بعض الشؤون لا كلها»** [2].

يقول جوادي آملي: **«لأن النبي إذا حصل على حق التقنين فهو ليس بمعنى أن التقنين يكون صادراً منه، بل معناه أنه يستلم هذه القوانين بالوحي الإلهي والإلهام ويبلغها، لكن هذا الاستلام يظهر أحياناً بصورة قرآن وأحياناً بصورة حديث قدسي.. إذن فحدود الولاية بمعنى الحكومة تنحصر في التنفيذ وليس في أصل التقنين، لأن التقنين هو الولاية التشريعية التي تختص**

١- جعفر السبحاني: الإلهيات - جـ ١ - ص ٤٢٥ .

٢- نفس المصدر: ص ٥٢٧ .

بالله تعالى ويرجع إبلاغها إلى الرسالة» [1].

ويقول أيضاً: «.. إن الله سبحانه يمتلك ولاية تكوينية وتشريعية معاً، فالله تعالى يدير الكون بإعمال الولاية.. والله وحده هو الذي يمتلك حق جعل القانون وهو الذي يبلغ الأحكام المجعولة للناس عن طريق النبي.. على أن النبي يجب أن يسمع الأحكام الإلهية المجعولة ويبلغها للناس» [2]. ويقول أيضاً: «يُطْرح الآن سؤال عن حدود ولاية الأنبياء والأئمة (ع)، لأنه بخروج الولاية التشريعية تخرج جميع الأحكام التشريعية الموجهة إلى الأفعال الإنسانية.. وجواب هذا السؤال هو أن حدود ولاية الأنبياء والأولياء هي تنفيذ القوانين العامة وتطبيق تلك القوانين على الأمور الجزئية» [3]. ويقول أيضاً: «الإسلام هو بمعنى مجموعة القوانين التي وصلت إلى نصابها التام، ونهايتها في قضية الغدير بعد تشريع وتعيين الولاية، لذا من بعد ذلك لم يعد وجود محل لتخصيص العام أو تقييد المطلق أو نسخ حكم، أي أنه من بعد ذلك لا يُضاف ولا ينقص من الواجبات والمحرمات والمكروهات والمستحبات والمباحات في الإسلام، وإذا كان الأئمة (ع) يبيّنون بعد ذلك تقييداً أو تخصيصاً فهو من باب وراثة الرسالة ومن ناحية تبيين الأحكام الصادرة، وإلا ففي حدود القوانين الإلهية لا يوجد محل لإضافة مستحب ولا مجال لإنقاص

١- جوادي آملي: ولاية الفقيه والقيادة في الإسلام - ص ٥٩، ٦٠ .
٢- جوادي آملي: ولاية الإنسان في القرآن - ص ١٨٤ .
٣- جوادي آملي: ولاية الفقيه والقيادة في الإسلام - ص ٦٠، ٦١ .

مكروه» [1]. ويؤيد ذلك ما يقوله السيد روح الله الموسوي الخميني: **«تنحصر سلطة التشريع بالله عز وجل، وليس لأحد أياً كان أن يشرّع، وليس لأحد أن يحكم بما لم ينزل الله به من سلطان.. فحكومة الإسلام حكومة القانون، والحاكم هو الله وحده وهو المشرّع وحده لا سواه»** و **«كل الأفراد، الرسول (ص) وخلفاؤه وسائر الناس، يتبعون ما شرّعه لهم الإسلام الذي ينزل به الوحي ويبينه الله في القرآن أو على لسان الرسول (ص)»** [2].

ويقول أيضاً: **«فالحاجة إلى الخليفة إنما هي من أجل تنفيذ القوانين»** و**«النبي (ص) لم يكن يكتفي في أيامه ببيان الأحكام وإبلاغها بل كان ينفذها، فقد كان رسول الله (ص) منفذ قانون»** و**«الخليفة ليس مبلغ قوانين أو مشرعاً، إنما الخليفة يراد للتنفيذ»** [3].

وجاء عن السيد عبدالأعلى السبزواري: **«لا ريب في أن تشريع الأديان السماوية وإنزال الكتب الإلهية وتكميل النفوس الإنسانية، بل وتنظيم العالَمين - الدنيا والآخرة - متقوم بهدايته تبارك وتعالى، لكثرة أهمية ذلك صارت الهداية من شؤونه المختصة به.. وكما تكون نفس الهداية من فعله تعالى كذلك تكون مراتبها وأقسامها لأنه حكيم عليم بخصوصياتها»** [4].

ويقول أيضاً: **إن التشريع الذي يقتضي سعادة الإنسان،**

١- نفس المصدر: ص ٦٢ .
٢- روح الله الخميني: الحكومة الإسلامية - ص ١٢١ .
٣- نفس المصدر: ص ١٩ .
٤- عبدالأعلى السبزواري: مواهب الرحمن - جـ ١ - ص ٤٢ .

والمتكفل بجميع جوانب الحياة الإنسانية في الدنيا والآخرة لا بد وأن يستند إلى الله تعالى رب السماوات والأرض.. وإلا لا يكون التشريع جامعاً.. فإذا كان حدوث التشريع من قبل الله تعالى على ألسنة الأنبياء الحافظين للشريعة والعالمين بها.. ومما ذكر يظهر أن هذا الجعل تكويني تشريعي، فتكوينه يكون دخيلاً في تشريعه، وأن تشريعه له دخل في تكوينه، فالنبي والإمام (ع) يكونون حافظين لهذا التشريع»[1]. ودليل ذلك ما جاء في خطبة النبي (ص) يوم غدير خم عند نزول الآية.. «..لا حلال إلا ما أحله الله ولا حرام إلا ما حرمه الله، عرفني الحلال والحرام، وأنا أفضيت بما علمني ربي من كتابه وحلاله وحرامه إليه - أي إلى أمير المؤمنين (ع) -..»[2].

ومما يؤكد انحصار الولاية التشريعية بالله سبحانه ما يقوله محمد جواد مغنية في تفسير قوله تعالى من سورة يوسف آية ٤٠، ٦٧ : ﴿إن الحكم إلا لله﴾، «بأن حكم الله على قسمين: الأول: قضاؤه وقدره.. الثاني: حلال الله وحرامه المعبر عن كل منهما بالحكم الشرعي.. والمراد بالحكم ﴿لله﴾ المعنى الثاني، وأنه تعالى هو مصدر التشريع، وليس الأفراد ولا الجماعات، ولا أية سلطة إلا الله وحده لا محلل ولا محرم إلا هو، ومن حكم بشيء فلا يكون حكمه حقاً وعدلاً إلا إذا كان على وفق ما أوحى الله،

١- نفس المصدر: جـ ٢ - ص ٢٠، ٢١ .

٢- الفيض الكاشاني: الصافي - جـ ١ - ص ٥٩ .

وأجمع كلمة تعبر عن ذلك قوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ .. فأي حكم لا يعبر عن إرادة الله ومرضاته فهو كفر وظلم وفسق..» [1].

ويقول أيضاً: «إن حق التشريع لله وحده، وعلى الناس أن يطبقوا ما شرعه الله، ﴿ذلك الدين القيم﴾، ﴿ذلك﴾ إشارة إلى حصر التشريع والعبادة بالله، والمعنى أن الدين المستقيم الذي لا عوج فيه هو الذي يخص الله وحده بالتشريع والعبادة، وليس لأي إنسان أن يستعبد الناس، أو يشرع لهم الأحكام والحلال والحرام، فالكل حتى الأنبياء عبيد لله يعملون بأمره ونهيه» [2].

ولهذا جاء عن أحمد بن الحسن الميثمي: «أنه سأل الرضا (ع) يوماً وقد اجتمع عنده قوم من أصحابه، وقد كانوا يتنازعون في الحديثين المختلفين عن رسول الله (ص) في الشيء الواحد، فقال (ع): إن الله حرم حراماً وأحل حلالاً، وفرض فرائض، فما جاء في تحليل ما حرم الله، أو في تحريم ما أحل الله، أو دفع فريضة في كتاب الله رسمها بين قائم بلا ناسخ نسخ ذلك، فذلك ما لا يسع الأخذ به، لأن رسول الله (ص)، لم يكن ليحرم ما أحل الله، ولا ليحلل ما حرم الله، ولا ليغير فرائض الله وأحكامه، كان في ذلك كله متبعاً مسلماً مؤدياً عن الله، وذلك قول الله: ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إليّ﴾، فكان عليه السلام متبعاً له، مؤدياً عن

١- محمد جواد مغنية: التفسير الكاشف - جـ ١٢ - ص ٢١٥ .
٢- نفس المصدر: ص ٤١٦ .

الله ما أمره به من تبليغ الرسالة» [1].

فقوله (ع): «.. **لأن رسول الله (ص) لم يكن ليحرم ما أحل الله، ولا ليحلل ما حرم الله، ولا ليغير فرائض الله وأحكامه..**» دليل على فساد من يدعي، بأن النبي (ص) زاد من عند نفسه في فرائض الصلاة بعد أن شرعها الله سبحانه ركعتين. ودليل ذلك ما جاء عن أبي جعفر (ع) - في حديث - أنه قال لزيد بن علي: «**إن الله أحل حلالاً، وحرم حراماً، وفرض فرائض، وضرب أمثالاً، وسن سنناً**.. إلى أن قال: **فإن كنت على بينة من ربك، ويقين من أمرك..**» [2]. وجاء عن الصدوق أنه قال: «**وخطب أمير المؤمنين (ع) فقال: إن الله حد حدوداً فلا تعتدوها، وفرض فرائض فلا تنقصوها وسكت عن أشياء لم يسكت عنها نسياناً فلا تكلفوها**» [3]. ومن هنا يظهر أن النبي (ص) لا يمكن له أن يخالف ما فرضه الله سبحانه، بأن يزيد في فرائض الصلاة مخالفاً في ذلك ما شرعه الله سبحانه، وهذا ينافي ما ورد عنه (ص) من عدم تجاوز ما فرضه الله تعالى.

ويؤكد هذا المعنى ما يقوله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: «**لأن أوامر ونواهي النبي (ص) والأئمة من أهل بيته الكرام هي أوامر ونواهي الله، وطاعتهم طاعة لله، وهم لا يأتون بشيء من عند**

١- الحر العاملي: وسائل الشيعة - جـ ٢٧ - ص ١١٣، ١١٤ . وانظر المشهدي: كنز الدقائق - جـ ٣ - ص ٢٨٤، ٢٨٥ - نقلاً عن كتاب التوحيد .

٢- الحر العاملي: وسائل الشيعة - جـ ٢٧ - ص ١٥٧ .

٣- نفس المصدر: ص ١٧٥ .

انفسهم، وكل ما جاءوا به للمسلمين هو من عند الله» [1].

ومما يؤكد أن الولاية التشريعية منحصرة بالله سبحانه، أن السنة النبوية المطهرة من الله أيضاً، والدليل على ذلك قوله تعالى في سورة النجم آية ٣، ٤، ٥: **﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، علّمه شديد القوى﴾**، فكل حكم جاء به المعصوم، فهو من الله من دون استثناء، ودليله ما يقوله الشيخ محمد جواد مغنية في تفسير قوله تعالى: **﴿يؤمنون بما أنزل إليك﴾** : **«الخطاب إلى محمد (ص)، والمراد ﴿بما أنزل إليك﴾، القرآن والسنة معاً، لأنه (ص) ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى»** [2].

ويقول أيضاً في تفسير قوله تعالى: **﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾**، **«إن ما جاء في هذه السورة وغيرها من أصول الإيمان والعقيدة والعظات والأحكام وكل ما أخبر الرسول هو من وحي الله سبحانه.. إذن كل ما أخبر به الرسول فهو من عند الله لا ريب فيه»** [3].

يقول محمد الغروي: **«ولا ريب أن المهدي وآباءه المعصومين عليهم السلام، لا يقولون إلا عنه (ص) وبالعلم الذي أخذوه منه (ص) وهو عن جبرئيل عن الله تعالى، ففي صحيحة حماد عن الصادق عليه السلام يقول: حديثي حديث أبي**

١- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل - جـ ٣ - ص ٢٠٦ .

٢- محمد جواد مغنية: التفسير الكاشف - جـ ١ - ص ٤٨ .

٣- نفس المصدر: جـ ٣ - ص ٤٥٥ .

وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله، وحديث رسول الله قول الله عز وجل» [1]. وهذا الحديث ذكره الحر العاملي عن هشام بن سالم، وحماد بن عثمان وغيره، قالوا: «سمعنا أبا عبدالله (ع) يقول..» الحديث [2]. ولهذا يقول الطبرسي في تفسير قوله تعالى: **﴿ما ننسخ من آية﴾ «.. فأما إضافة ذلك إليه تعالى فصحيحة، لأن السنة إنما هي بوحيه تعالى وأمره، فأضافها إليه كإضافة كلامه»** [3]. ويقول السيد عبدالأعلى السبزواري: «.. **فإن السنة المقدسة أيضاً من الله تعالى، قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾** [4].

وفي أمالي الطوسي عن ابن عباس: «.. **كان علمه - أي الإمام علي (ع) - من رسول الله (ص)، ورسول الله علّمه الله من فوق عرشه، فعلم النبي (ص) من الله، وعلم علي من النبي»** [5]. وبهذا جاء عن أبي عبدالله (ع) أنه قال: «**إن الله علّم رسوله الحلال والحرام، والتأويل، فعلّم رسول الله (ص) علمه كله علياً»** [6].

١- محمد الغروي: المختار من كلمات الإمام المهدي - جـ ٢ - ص ٦٣ . نقلاً عن أصول الكافي - جـ ١ - ص ٥٢ .
٢- الحر العاملي: وسائل الشيعة - جـ ٢٧ - ص ٨٣، ٨٤ .
٣- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ١ - ص ٢٣٢، ٢٣٣ .
٤- عبدالأعلى السبزواري: مواهب الرحمن - جـ ١ - ص ٣٨٥ .
٥- أمالي الشيخ الطوسي: ص ١١ .
٦- الحر العاملي: وسائل الشيعة - جـ ٧٢ - ص ١٩٩ .

ويؤيد ذلك ما جاء في صحيحة الثمالي عن جابر قال أبو جعفر (ع): «.. **نحدثهم بآثار عندنا من رسول الله (ص) نتوارثها كابراً عن كابر، نكتنزها كما يكتنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم**» [1]. إذن فواضع القانون والمشرّع هو الله وحده، لأن كل من يضع قانوناً في قبال ما شرّعه الله، يكون رباً شريكاً له في وضع القانون، ويؤيد ذلك ما جاء عن جابر عن أبي عبدالله (ع)، قال: «**سألته عن قول الله: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾، قال: أما إنهم لم يتخذوهم آلهة، إلا أنهم أحلوا لهم حلالاً فأخذوا به، وحرموا حراماً فأخذوا به، فكانوا أربابهم من دون الله**» [2].

هذا وقد استدل الشيخ جوادي آملي بآية: ﴿**يؤمنون بما أنزل إليك**﴾ على كون التشريع من الله في قوله: «**عندما يقوم النبي (ص) ببيان حد القطع - أي قطع يد السارق - أو موارد تعلق الزكاة.. فليس صحيحاً أبداً أن يكون أصل القطع وأصل الزكاة مبيّناً من الله، أما مقدار قطع اليد أو عدد متعلقات الزكاة فيبينها النبي - معاذ الله - بحسب نظره، فما يبينه النبي (ص) .. يكون مشمولاً لهذه الآية الشريفة: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾، بناء على هذا فما تلقاه النبي (ص) في المعراج بعنوان «فرض الله» أو «فرض النبي» لم يكن بمعنى أنه زاد**

١- محمد الغروي: المختار من كلمات الإمام المهدي - جـ ٢ - ص ٦٣ . نقلاً عن البصائر - ص ٣٢٠ .
٢- الحر العاملي: الوسائل - جـ ٢٧ - ص ١٣٤ .

من نفسه شيئاً على الصلاة أبداً، وإنما بمعنى أنه قد بين هاتين الركعتين الأخيرتين أيضاً بالاستمداد من الإلهام الإلهي، ولهذا فتبيين النبي مستند إلى الله» [1].

يقول السيد محسن الأمين: «أما حديث الزيادة في الفرائض وتعيين النوافل فإذا صح سنده فليس فيه شيء ينافي ذلك، فالله تعالى فرض الفرائض والنبي زاد في عدد ركعاتها بإلهام منه تعالى» [2].

ويقول الشيخ جعفر السبحاني: «إن عمل الرسول لم يكن في هاتيك الموارد سوى مجرد طلب، وقد أنفذ الله طلبه، لا أنه قام بنفسه بتشريع وتقنين.. فالحاصل أن ما صدر من النبي لم يكن بصورة التشريع القطعي، بل كان دعاء وطلباً من الله سبحانه» [3].

أقول: وبناء على زيادة النبي (ص) في الصلاة، وأنه (ص) زاد الركعتين، فيقال: إن الله سبحانه لما أمر بالصلاة، وجعلها ركعتين، فإما أن تكون المصلحة في الركعتين أو في الأربع: فإن كانت المصلحة في الركعتين، فمعناه أنه لا مصلحة في الأربع، فزيادة الركعتين يكون لغواً، ونحن نعلم أن الأوامر والنواهي تابعة للمصالح والمفاسد باعتقاد الشيعة، وإن كانت المصلحة في الأربع وقد خفيت هذه المصلحة على الله وعلمها النبي (ص) فهذا كفر صريح، لأنه يؤدي إلى أن ننسب الجهل إلى الله، وإن قلنا إن

١- جوادي آملي: ولاية الإنسان في القرآن - ص ٢٢٥، ٢٢٦ .

٢- محسن الأمين العاملي: نقض الوشيعة - ص ٤٠٠ .

٣- جعفر السبحاني: كليات في علم الرجال - ص ٤٢٥، ٤٢٦ .

الأربع من قبيل النسخ، فإنه لا يخلو الأمر، إما أن يكون النسخ قبل العمل بالركعتين، أو بعد العمل بالركعتين، فإذا كان النسخ قبل العمل، فالأمر بالركعتين يكون لغواً وجهلاً من الله سبحانه، لأنه لا يصح النسخ قبل العمل، وإن كان النسخ بعد العمل، فهو نسخ من الله أيضاً، وليس من النبي (ص) لانتهاء المصلحة في الركعتين، لئلا يلزم من ذلك التقول على الله سبحانه، مع أنه لا قائل من أن المسلمين كانوا يصلون صلاة الظهر أو العصر أو المغرب أو العشاء ركعتين، ثم زيدت بعد ذلك، ووجود رواية في ذلك لا يفي بالغرض، لأنها لا تفيد علماً ولا عملاً، ودليل ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين﴾. ودليله أيضاً قوله تعالى: ﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾[1] يونس، ١٥ . بالإضافة إلى ذلك، فإن السنة، وهي قول المعصوم وفعله وتقريره، من الله سبحانه، كما مر.

يقول محمد جواد مغنية في تفسير قوله تعالى: ﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي﴾ «الرسول ناقل عن الله، لا مشرع، تماماً كراوي الحديث عن الرسول، وقد جاء في الحديث عنه أنه قال: من كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار، فكيف يكذب هو على الله؟ حاشا لصاحب العصمة عن الخطأ والزلل.. وفي الآية

١- علاء الدين القزويني: مسائل عقائدية - ط ٢ - ص ١٢٠ .

تعريض بمن يفتي ويحكم بغير دليل من الشرع، وفيها أيضاً الدليل القاطع على أن النبي (ص) ما حكم قط باجتهاده، وأن جميع أحكامه كانت بوحي من الله، وأن من أجاز الاجتهاد عليه فقد قاسه بغيره من الفقهاء» [1]. ولهذا جاء عن أبي عبدالله (ع) أنه قال: «**الحكم حكمان، حكم الله عز وجل، وحكم أهل الجاهلية، فمن أخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهلية**»[2]. وحاشا لرسول الله (ص) أن يحكم بحكم الجاهلية. ودليل ذلك ما جاء عن أبي جعفر (ع) أنه قال: «**الحكم حكمان، حكم الله عز وجل، وحكم أهل الجاهلية، وقد قال الله عز وجل: ﴿ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾**» [3].

ويؤكد هذا المعنى ما يقوله الشيخ يوسف صانعي: «**لا يحق لأي أحد أن يقرر ويقنن في مقابل ما يقضي به الله تعالى ورسوله (ص)، ومن المعلوم أن قضاء رسول الله (ص) غير مسألة وضع القانون، لأن الرسول (ص) ليس له حق في أن يضع القانون، لأن هذا الحق مختص بالله تعالى وحده، أما النبي (ص) فهو مبلّغ عن الله تعالى، فهو يتلقى القانون ويوصله إلى الناس**» [4].

ويقول أيضاً إن «**وضع القانون مختص بالله عز وجل، لأنه هو**

١- محمد جواد مغنية: التفسير الكاشف - جـ ٤ - ص ١٤٢ .
٢- الحر العاملي: الوسائل - جـ ٢٧ - ص ٢٢ .
٣- نفس المصدر: ص ٢٣ .
٤- يوسف صانعي: الولاية - ص ٢٢ .

الذي يستطيع أن يميّز الحق من الباطل، وهو الذي يقص الحق ويبيّنه للإنسان، فالمعيار الأصلي في حق التشريع هو أن يتمكن المشرع أن يفصل الحق من الباطل ويميزه عنه، والله سبحانه يفصل ذلك بأفضل شكل، إذن حق التشريع مختص به تعالى..» (١).

ويقول أيضاً: «إن الآيات القرآنية لم تصرّح بأن من حق أولي الأمر (ع) وضع القانون، بل أكّدت أن مهمتهم هي تطبيق القانون النازل من الله سبحانه.. فمن لم يحكم بالقانون الذي جاء من قبل الله تعالى فهو كافر وظالم وفاسق.. لأنه يجب أن يحكم بالقانون الذي نزل من قبل الله تعالى، .. حتى في العلاقات والروابط الشخصية..»(٢).

ويقول أيضاً: «إن الإنسان المؤمن الموحّد لا يخضع إلا لحكومة الله عز وجل ويعتقد أنه ليس لأحد الحق في وضع القانون وإعطاء الأوامر وله حق الطاعة على الإنسان إلا الله عز وجل.. فإذا عرف الإنسان الله - كما يعرفه الإلهيون - لم يكن له بد من إعطاء حق التشريع لله تعالى وحصره فيه دون سواه، ويرى أن الله سبحانه هو صاحب الحق في وضع القانون.. إذن يرى الإنسان الموحّد أن المشرّع والمقنن هو الله..» (٣).

يقول السيد علي الحسيني الخامنئي: «إن الخالقية والسيطرة

١- نفس المصدر: ص ٤٥ .

٢- نفس المصدر: ص ٤٦، ٤٧ .

٣- نفس المصدر: ص ٤٣، ٤٤ .

التكوينية لله تستلزم أن يكون زمام التشريع بيده وحده، والجميع ملزم باتباع شرعه، ويقول أيضاً: **إن علم الله المطلق يستلزم أن تكون صلاحية تنظيم القوانين الإنسانية التي تضمن مصالحهم بيده وحده،** [1].

ويقول أيضاً: **«فمن المعروف أن جميع الأديان الإلهية كانت تدعو إلى حكومة الله، وكان كل الأنبياء وأوصياؤهم يدعون الناس إلى حكومة تكون فيها الحاكمية وحق التشريع لله»** [2]. إذن فالولاية التشريعية بجميع خصوصياتها وجزئياتها من شؤونه سبحانه. يقول السيد كاظم الحائري: **«والإسلام.. يجعل الله هو المشرِّع وهو الحاكم الحقيقي والمخطط لمسيرة الأمة وحده لا شريك له في العبودية والتشريع كما لا شريك له في الذات»،** ويقول أيضاً: **«إن المسلم يعتقد أن الله الخالق الحكيم العليم هو الأعلم بمصالح الإنسان وأسلوب إشباع احتياجاته إشباعاً عادلاً منسجماً مع القوانين التكوينية، لأنه خالق العالم والمجتمع والإنسان.. وعليه فلا معنى لتسليم أمور التشريع والتقنين.. بيد الناس.. مع وجود الخالق العظيم»** [3].

وجاء عن الشيخ الصافي الكلبايكاني: **«اعلم أن مقتضى جامعية الدين ورود حكم كل شيء من الله تعالى، بحيث لا يبقى موضوع إلا وله حكم.. فلم يدع الله شيئاً إلا ووضع له حكماً**

١- علي الحسيني الخامنئي: الخطوط العامة للفكر الإسلامي في القرآن - ص ٢١ ، ٢٢ .
٢- علي الحسيني الخامنئي: الحكومة في الإسلام - ج ١ - ص ٤٨ .
٣- كاظم الحائري: أساس الحكومة الإسلامية - ص ٢٨ ، ٦٠ .

وانزله على نبيه (ص) وبيّنه نبيه لأوصيائه وهم الأئمة (ع)» [1].

ويقول أيضاً: «إن الله تعالى بيّن حكم كل شيء وحدوده، مما تحتاج إليه الأمة، وإنه - أي النبي (ص) - والأئمة (ع) مبيّنون لأحكامه وتعاليمه.. ولهذا ما من شيء من الأشياء وموضوع من الموضوعات إلا صدر فيه حكم من الله تعالى، وليس الحكم إلا له، وهو أنزله على رسوله (ص).. ولم يفوّض جعل الحكم إلى غيره، بل الرسل (ع) كلما يقولون، يقولون من عند الله تعالى.. ولا يكون جعل الولاية بناء على هذا مقتضياً لأن يكون الولي - أعني الرسول أو الإمام - مشرّعاً، لأنه مع فرض أن الله تعالى ما ترك شيئاً إلا وقد شرع له حكماً، فلا يمكن للولي المجعول جعل حكم بعد حكم الله تعالى..» [2].

ويقول أيضاً: «فتلخص من كل ذلك انحصار مورد ولايتهما - أي الرسول والإمام - بصورة لا تكون تشريعاً، بل ولايتهما محدودة بحدود حدّها الله تعالى شأنه.. فتكون ولايتهما في حدود الإسلام وما نزل من الله تعالى من أحكامه وحلاله وحرامه ولا يجوز لهما التشريع.. فالنتيجة هو أنه ليست الولاية الثابتة للنبي (ص) والأئمة (ع) إلا في محدودية الدين.. وكل ما صدر منهم هو حكم الله الذي علّمهم الله.. وأما أزيد من ذلك بحيث أن يكون لهم حق التشريع، فلم نجد دليلاً عليه من النقل

١- علي الصافي الكلبايكاني: الدلالة إلى من له الولاية - ص ٤٦ .
٢- نفس المصدر: ص ٤٧، ٤٨، ٤٩ .

ويحكم على خلافه العقل فافهم» [1].

إن الاعتقاد بانحصار الولاية التشريعية في الله سبحانه ثابت عند جميع المسلمين، لا يختلف في ذلك اثنان، وهذا من معتقدات المسلمين المسلّم بها. يقول الميرزا علي الحائري: «**أوَليس من المحقق عند جميع المسلمين والثابت المسلّم لدى الإمامية أن هذه الشريعة المحمدية متلقاة بالوحي الخاص من الملك العلاّم، ليس فيه شيء من وضع النبي (ص) وجعله أبداً، بل لا يمكن لبشر أن يأتي بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وأمهاتها صادرة من القرآن الكريم، كالصلاة والزكاة والصوم والحج والمواريث والديات والمعاملات والأخلاق وغير ذلك، والقرآن كله معجز نزل به الروح الأمين، وقد قال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾**» [2].

ويقول أيضاً: «**إن الشرع كله من الله تعالى بالوحي الخاص، ليس فيه من النبي (ص) شيء، ﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾ إليه، وهذا هو الحق الصحيح والصواب الصريح الذي عليه جميع المسلمين وجملة الموحدين، لا ريب فيه ولا شبهة تعتريه**» [3].

ومما تقدم ظهر لنا:

أولاً: أن الولاية التشريعية بكل خصوصياتها، كالولاية التكوينية منحصرة بالله سبحانه، فهو المشرع، وليس لأحد الحق بأن يشرع

١- نفس المصدر: ص ٥٠، ٥٣، ٥٤ .

٢- ميرزا علي الحائري: عقيدة الشيعة - ط ٢ - ص ١٧ .

٣- نفس المصدر: ص ١٩ .

في قبال ما شرعه الله تعالى، وهذا ما اتفق عليه المسلمون جميعاً، كما مر.

ثانياً: أن السنة النبوية المطهرة، كالقرآن موحى بها من الله إلى النبي (ص)، والفارق أن القرآن معجز، بخلاف السنة، لقوله تعالى: **﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، علّمه شديد القوى﴾**.

ثالثاً: بطلان ما قيل من أن النبي (ص) زاد في عدد الركعات في الصلاة، لأن ذلك يؤدي إلى التقول على الله سبحانه، وعدم اتباع الوحي، كما سنشير إلى ذلك إن شاء الله.

رابعاً: أن حديث الأئمة صلوات الله عليهم جميعاً، هو حديث رسول الله (ص) عن جبرئيل عن الباري تعالى.

من هذا العرض تبين لنا انحصار الولاية التشريعية بالله سبحانه، بقي علينا أن نذكر جملة من الأدلة الدالة على ذلك.

الدليل الأول

قوله تعالى في سورة النساء آية ١٢٧ : **﴿ويستفتونك في النساء قلِ الله يفتيكم فيهن﴾**.

من الآيات الدالة على انحصار الولاية التشريعية بالله سبحانه، هذه الآية المباركة، وهي رد وإبطال لمن يزعم بأن النبي (ص) له حق التقنين والتشريع، وذلك لعلمه بالمصالح والمفاسد، فالآية تنفي هذا الزعم، لأن الفتيا في الأحكام الشرعية لا تكون

إلا لله سبحانه، ودليل ذلك حينما سأل القوم النبي (ص) عن أحكام المواريث المتعلقة بالنساء، فلم يفتهم في ذلك برأيه (ص)، وإنما أرجع ذلك إلى الله سبحانه: **﴿قل الله يفتيكم فيهن﴾**، وهذا من أوضح الأدلة على كون التشريع من شؤونه سبحانه كالتكوين لا يشاركه فيه أحد من عباده.

يقول الشيخ محمد جواد مغنية في تفسير الآية: **﴿ويستفتونك في النساء﴾، «أي يطلبون منك يا رسول الله أن تبين لهم أحكام النساء في الإرث والزواج ونحوه، ﴿قل الله يفتيكم فيهن﴾، ويدل هذا على أن تشريع الأحكام لله وحده، وليس للنبي منها إلا التبليغ، وثبت أنه كان يسأل عما لم ينزل به وحي فلا يجيب حتى ينزل عليه، ﴿وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء﴾، أي أن الله يفتيكم في أمر النساء، وأيضاً القرآن يفتيكم في أمرهن،** [1]. ولهذا يقول المشهدي في تفسير الآية: «**﴿ويستفتونك﴾، يسألونك الفتوى، أي تبين الحكم.. ﴿قل الله يفتيكم فيهن﴾، يبين لكم حكمه فيهن، والإفتاء تبيين المبهم.. فيكون الإفتاء مستنداً إلى الله،** [2].

يقول الشيخ محمد السبزواري في تفسيره: «**﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم﴾، يعني يطلبون منك الإفتاء بشأنهن ويسألون عن الحكم في ميراثهن، فقل الله تعالى يعطيكم**

١- محمد جواد مغنية: التفسير الكاشف - جـ ٥ - ص ٤٥٠ .

٢- المشهدي: كنز الدقائق - جـ ٢ - ص ٢٣٩ .

الفتوى، ﴿فيهن﴾ .. وفي القمي عن الباقر (ع): سئل النبي (ص) عن النساء ما لهن من الميراث، فأنزل الله الربع والثمن. فبيان حكمهن راجع إليه تعالى في مسائل إرثهن وفي غيره من سائر شؤونهن، بل إن بيده تعالى بيان الأحكام في جميع الأمور إثباتاً ونفياً، وجعلاً وعدماً، لأنه صاحب الشريعة والدين في جميع الأعصار» [1]. وهذا يؤكد انحصار التقنين والتشريع بيده سبحانه، جل عن أن يشاركه أحد في ذلك.

ويؤكد ذلك ما يقوله الطباطبائي في تفسير الآية: «فأمره الله سبحانه أن يجيبهم، أن الذي قرّره لهن على الرجال من الأحكام إنما هو فتيا إلهية ليس له في ذلك من الأمر شيء، ولا ذاك وحده بل ما يتلى عليهم في الكتاب في يتامى النساء أيضاً حكم إلهي ليس لرسول الله (ص) فيه شيء من الأمر، ولا ذاك وحده، بل الله يأمرهم أن يقوموا في اليتامى بالقسط.. وعلى هذا فالمراد بما أفتاه الله فيهن في قوله: ﴿قل الله يفتيكم فيهن﴾ ما بينه تعالى في آيات أول السورة، ويفيد الكلام حينئذ إرجاع أمر الفتوى إلى الله سبحانه وصرفه عن النبي (ص)، والمعنى: يسألونك أن تفتيهم في أمرهن قل: الفتوى إلى الله، وقد أفتاكم فيهن» [2].

وجاء في تفسير الصافي قوله: «يبين لكم ما سألتم في

١- محمد السبزواري: الجديد في تفسير القرآن - جـ ٢ - ص ٣٥٨، ٣٥٩ .
٢- الطباطبائي: الميزان - جـ ٥- ص ٩٨، ٩٩ .

شأنهن، ﴿وما يتلى عليكم في الكتاب﴾، أي ويبين لكم أيضاً ما يقرأ عليكم في القرآن ﴿في يتامى النساء﴾.. وزاد القمي: وكانوا يرون ذلك في دينهم حسناً، فلما أنزل الله فرائض المواريث وجدوا من ذلك وجداً شديداً، فقالوا: انطلقوا إلى رسول الله (ص) فنذكر ذلك له لعله يدعه أو يغيره، فأتوه.. إلى قوله: فقال رسول الله (ص) بذلك أمرت» [1]. ولهذا يقول الطبرسي في تفسيره: ﴿ويستفتونك﴾ أي يسألونك الفتوى وهو تبيين المشكل من الأحكام، ﴿في النساء﴾، ويستخبرونك يا محمد عن الحكم فيهن وعما يجب لهن وعليهن.. ﴿قل الله يفتيكم فيهن﴾، معناه: قل يا محمد الله يبين لكم ما سألتم في شأنهن، ﴿وما يتلى عليكم في الكتاب﴾ أي ويفتيكم أيضاً ما يقرأ عليكم في الكتاب، أي القرآن، وتقديره، وكتابه يفتيكم أي يبين لكم الفرائض المذكورة [2]. ولم يقل (ص) أنا أبين لكم ذلك، بل أسند ذلك إلى الله تعالى.

وجاء في تفسير التبيان للشيخ الطوسي: «يسألك يا محمد أصحابك أن تفتيهم في أمر النساء والواجب لهن وعليهن.. ﴿قل الله يفتيكم فيهن﴾ يعني قل يا محمد: إنه يفتيكم فيهن يعني في النساء ﴿وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء﴾ اللاتي لا تؤتوهن ما كتب لهن» [3]. ولهذا جاء في تفسير المعين:

١- الفيض الكاشاني: الصافي - جـ ١ - ص ٥٠٦ .
٢- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٣ - ص ١٤٨ .
٣- الطوسي: التبيان - جـ ٣ - ص ٣٤٢ .

﴿ويستفتونك﴾ يسألونك تبيين الحكم. ﴿في النساء﴾ في ميراثهن، .. قل الله يفتيكم فيهن» [1]. وفي ذلك يقول مغنية: «.. **يسألونك يا محمد عما يجب عليهم في أمر النساء، ﴿قل الله يفتيكم فيهن﴾، يبين لكم الأحكام بلسان نبيه الكريم»** [2].

وملخص ما جاء في الآية الكريمة، أن الفتيا في الأحكام الشرعية من شؤونه سبحانه وحده لا يشاركه في ذلك أحد من عباده، وهذا يدل على انحصار الولاية التشريعية به تعالى.

الدليل الثاني

قوله تعالى في سورة النساء آية ١٠٥ . **﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً﴾.**

وهذه الآية المباركة تدل أيضاً على انحصار الولاية التشريعية بالله سبحانه. يقول الشيخ محمد جواد مغنية في تفسيرها: «**وهذه الآية رد وإبطال لقول القائلين بأن النبي (ص) يحكم في بعض المسائل باجتهاده، لأنها صريحة واضحة في أنه لا يحكم إلا بوحي من الله.. هذا، إلى أن المجتهد يصيب ويخطيء، والنبي يفصل في خلاف المجتهدين، ويبين خطأ من أخطأ وصواب من أصاب.. هذا، إلى أن الأمر بالواجب، والنهي عن المحرم كثيراً ما**

١- نور الدين الكاشاني: تفسير المعين - جـ ١ - ص ٢٥٦ .
٢- محمد جواد مغنية: التفسير المبين - ص ١٢٤ .

يوجهان من الله إلى الأنبياء لمجرد الإعلام بالحكم» [1]. ويقول أيضاً في تفسير الآية: «**بما أوحى الله به إليك لا برأيك واجتهادك**» [2].

وجاء في تفسير كنز الدقائق: «**﴿لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾، بما عرّفك وأوحى إليك**» [3]. ولهذا يقول الشيخ الطوسي في تفسيره: «**خاطب الله بهذه الآية نبيه (ص) فقال: ﴿إنا أنزلنا إليك﴾ يا محمد (ص)، ﴿الكتاب﴾ يعني القرآن، ﴿بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ يعني بما أعلمك الله في كتابه**» [4].

وبهذا يقول الفيض الكاشاني: «**﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب.. بما أراك الله﴾، بما عرفك وأوحى به إليك**» [5].

ويؤكد هذا المعنى ما جاء في سورة النساء، أيضاً آية ١١٣، قوله تعالى: **﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم﴾**. يقول الطبرسي في تفسيرها: «**﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة﴾، أي القرآن والسنة، أن المعنى: كيف يضلونك وهو ينزل عليك الكتاب ويوحي إليك بالأحكام، ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم﴾، أي ما لم تعلمه من الشرائع وأنباء الرسل الأولين وغير ذلك من العلوم**» [6]. ولهذا يقول مغنية: «**والمراد بالكتاب**

١- محمد جواد مغنية: التفسير الكاشف - جـ ٥ - ص ٤٣٠ .
٢- محمد جواد مغنية: التفسير المبين - ص ١٢٠ .
٣- المشهدي: كنز الدقائق - جـ ٢ - ص ٦١٠ .
٤- الطوسي: التبيان - جـ ٣ - ص ٣١٥ .
٥- الكاشاني: الصافي - جـ ١ - ص ٤٩٦ .
٦- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٣ - ص ١٢٨ .

القرآن، وبالحكمة هنا السنة، ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم﴾ من خفيات الأمور» [1]. ويؤيد ذلك ما يقوله الطباطبائي في الميزان: «والمراد بالحكمة سائر المعارف الإلهية النازلة بالوحي، النافعة للدنيا والآخرة، والمراد بقوله: ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم﴾، غير المعارف الكلية العامة من الكتاب والحكمة.. فقد فسر بعضهم الكتاب بالقرآن، والحكمة بما فيه من الأحكام، و﴿ما لم تكن تعلم﴾ بالأحكام والغيب، وفسر بعضهم الكتاب والحكمة، بالقرآن والسنة، و﴿ما لم تكن تعلم﴾ بالشرائع وأنباء الرسل الأولين..» [2].

يقول الشيخ الطوسي في تفسير الآية: «.. وأنزل عليك الحكمة مضافة إلى الكتاب، وهي بيان ما ذكره في الكتاب مجملاً من أحكام الكتاب، من الحلال والحرام، والأمر والنهي، ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم﴾ من خبر الأولين والآخرين» [3]. ولهذا جاء في تفسير كنز الدقائق: ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم﴾، من خفيات الأمور وأمور الدين والأحكام» [4].

يقول الشيخ محمد السبزواري في تفسير الآية: «﴿وأنزل الله عليك الكتاب﴾، أي القرآن ﴿والحكمة﴾، أي السنة الشريفة، ووجه اتصال هذه الجملة بما قبلها، هو أنه كيف يضلونك وهو نزل

١- محمد جواد مغنية: التفسير المبين - ص ١٣٣ .
٢- الطباطبائي: الميزان - جـ ٥ - ص ٨٠، ٨١ .
٣- الطوسي: التبيان - جـ ٣ - ص ٣٢٤، ٣٢٥ .
٤- المشهدي: كنز الدقائق - جـ ٢ - ص ٦١٦ .

عليك القرآن وأوحى إليك بالأحكام، ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم﴾، يعني ما لم تكن تعرفه من الشرائع وأنباء الرسل الأولين وغير ذلك مما تعلمه، [1]. ولهذا يقول السيد عبدالله شبر في تفسيره: **«﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة﴾، القرآن والأحكام،** [2]. وعن النبي (ص) أنه قال: **«ومن حكم بما لم يحكم به الله كمن شهد بشهادة زور..»** [3]. وبهذا يظهر أن التشريع والتقنين من شؤونه سبحانه، ولهذا يقول محمد جواد مغنية في تفسير قوله تعالى: **﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾ «بيّن سبحانه حلاله وحرامه ما صغر منه وما كبر حتى القلائد لنكون على علم اليقين بأن ما من شيء إلا وفيه كتاب وسنة كيلا يترك مجالاً لأي إنسان أن يفتي ويحكم برأيه،** [4]. ويؤيد ذلك ما جاء عن الفيض الكاشاني في تفسير قوله تعالى: **﴿قل لا أجد فيما أوحي إليَّ محرماً﴾ فيه إيذان بأن التحريم إنما يثبت بالوحي لا بالهوى، وبهذا وردت الأخبار، بأن الحرام ليس إلا ما حرم الله، وتليت هذه الآية»** [5]. يقول الطبرسي: **«.. وأجود من هذا أن يقال إنه سبحانه خص هذه الأشياء بالتحريم تعظيماً لحرمتها وبيّن تحريم ما عداها في مواضع أُخر إما بنص القرآن وإما بوحي غير القرآن أيضاً»** [6]. وهكذا تنحصر الولاية التشريعية وحق التقنين

١- محمد السبزواري: الجديد في تفسير القرآن - جـ ٢ - ص ٣٤٥ .
٢- عبدالله شبر: الجوهر الثمين - جـ ٢ - ص ٩٩ .
٣- الحر العاملي: وسائل الشيعة - جـ ٢٧ - ص ٣٣ .
٤- محمد جواد مغنية: التفسير المبين - ص ١٥٦، ١٥٧ .
٥- الفيض الكاشاني: الصافي - جـ ٢ - ص ١٦٥، ١٦٧ .
٦- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٤ - ص ٤٦٩ .

به سبحانه.

الدليل الثالث

قوله تعالى في سورة يونس آية ١٥: **﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾**.

هذه الآية وغيرها من الآيات المباركة الدالة على اتباع النبي (ص) في كل أموره الدينية والدنيوية للوحي الإلهي، دليل قاطع على أن الولاية التشريعية منحصرة بالله سبحانه من دون منازع، والمكابر في ذلك إما لشبهة عرضت له في مقابل البديهية، وإما لعدم اطلاعه على ما جاء عن مفسري علماء الشيعة لهذه الآيات، ولا ريب أن مفسري الشيعة لم يفسروا القرآن عن الهوى ومن عند أنفسهم، وإنما اعتمدوا في تفسيرهم على ما ورد عن أئمة الهدى (ع) عن النبي (ص) عن جبرئيل عن الباري سبحانه، وإلا صدق عليهم قوله (ص): «**من فسر القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار**»، ونحن نذكر جملة من تفاسير الشيعة.

يقول الفيض الكاشاني في تفسيره: **﴿قل ما يكون لي﴾ ما يصح لي، ﴿أن أبدله من تلقاء نفسي﴾، من قبل نفسي من غير أن يأمرني بذلك ربي، ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ﴾، ليس إليَّ تبديل ولا نسخ، ﴿إني أخاف إن عصيت ربي﴾، في التبديل والنسخ من عند نفسي ﴿عذاب يوم عظيم﴾** [1]. ولهذا جاء في مجمع البيان

١- الفيض الكاشاني: الصافي - جـ ٢ - ص ٢٩٦، ٢٩٧.

عن الشيخ الطبرسي: ﴿قل﴾ يا محمد، ﴿ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي﴾، أي من نفسي وناحية نفسي ولأنه معجز فلا أقدر على الإتيان بمثله ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ﴾ أي ما أتبع إلا الذي أوحي إليَّ، ﴿إني أخاف إن عصيت ربي﴾، في اتباع غيره، ﴿عذاب يوم عظيم﴾ أي يوم القيامة. ومن استدل بهذه الآية على أن نسخ القرآن بالسنة لا يجوز فقد أبعد لأنه إذا نسخ القرآن بالسنة وما يقوله النبي (ص)، فإنه يقوله بالوحي من الله فلم ينسخ القرآن بالسنة وما يقوله النبي (ص)، فإنه يقوله بالوحي من الله فلم ينسخ القرآن ولم يبدله من قبل نفسه بل يكون تبديله من قبل الله تعالى، ولكن لا يكون قرآناً، ويؤيد ذلك قوله: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ إلا بوحي» [1].

يقول محمد جواد مغنية في تفسيره: ﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ﴾ «الرسول ناقل عن الله لا مشرع تماماً كراوي الحديث عن الرسول، وقد جاء في الحديث عنه أنه (ص) قال: «من كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار»، فكيف يكذب هو على الله؟ حاشا لصاحب العصمة عن الخطأ والزلل.. وفي الآية تعريض بمن يفتي ويحكم بغير دليل من الشرع، وفيها أيضاً الدليل القاطع أن النبي ما حكم قط باجتهاده، وأن جميع أحكامه كانت بوحي من الله، وأن من أجاز الاجتهاد عليه فقد قاسه بغيره من الفقهاء» [2].

١- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٥ - ص ١٢٥ .

٢- محمد جواد مغنية: التفسير الكاشف - جـ ١١ ص ١٤٢ .

وجاء عن الشيخ الطوسي في تفسير الآية: **﴿إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ﴾، أي ليس لي أن أتبع إلا الذي يوحى إليَّ، ﴿إني أخاف إن عصيت ربي﴾، في اتباع غيره، ﴿عذاب يوم عظيم﴾، يعني يوم القيامة. ومن استدل بهذه الآية على أن نسخ القرآن بالسنة لا يجوز فقد أبعد، لأنه إذا نسخ ما يتضمنه القرآن بالسنة، فالسنة لا يقولها النبي (ص) إلا بوحي من الله، وليس ينسخه من قبل نفسه، بل يكون ذلك النسخ مضافاً إلى الله، وإنما لا يكون قرآناً، لأنه تعالى قد يوحي إلى نبيه ما هو قرآن وما ليس بقرآن، لأن جميع ما بينه النبي (ص) من الشريعة لم يبينها إلا بوحي من الله لقوله: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾** [1].

وهذا من أوضح الأدلة على أن المشرع والمقنن هو الله، وبهذا تنحصر الولاية التشريعية به سبحانه.

يقول الشيخ محمد السبزواري: «**﴿قل ما يكون لي﴾ أي ليس له الحق، ﴿أن أبدله﴾، أغيره، ﴿من تلقاء نفسي﴾، أي من جهة نفسي، .. فالقرآن الكريم معجز لا أقدر على تبديله والإتيان بمثله، ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ﴾، أي ما أتبع إلا الوحي كما ينزل، ﴿إني أخاف إن عصيت ربي﴾ في اتباع غيره، ﴿عذاب يوم عظيم﴾.. ومن استدل بهذه الآية على أن نسخ القرآن بالسنة لا يجوز فقد أبعد عن دقيق فهم معنى النسخ، لأن السنة قول النبي (ص) وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فما يقوله**

١- الطوسي: التبيان - جـ ٥ - ص ٣٥٠، ٣٥١ .

من سنته ليس تبديلاً ولا نسخاً للقرآن، بل هو منزل عليه من الله تعالى وإن كان لا يعتبر قرآناً» [1]. ولهذا يقول الطباطبائي في تفسيره: ﴿قل ما يكون لي أن أبدله﴾، ومعناه: قل لا أملك وليس لي بحق، أن أبدله من عند نفسي لأنه ليس بكلامي، وإنما هو وحي إلهي، أمرني ربي أن أتبعه ولا أتبع غيره، وإنما لا أخالف أمر ربي، لأني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم، وهو يوم القيامة.. وقوله: ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ﴾ .. بما يلوح منه أنه مما تعلق به الأمر الإلهي» [2].

وجاء في تفسير الجوهر الثمين: «﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ واضحات في الحلال والحرام وسائر الشرائع والمعارف والأحكام.. إلى قوله تعالى: ﴿قل ما يكون﴾، ما يصح، ﴿لي أن أبدله من تلقاء نفسي﴾، من جهة نفسي وناحيتها، ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ﴾، ليس إليَّ التبديل والنسخ، ﴿إني أخاف إن عصيت ربي﴾ في اتباع غيره..» [3].

ويؤيد ذلك ما جاء في سورة الأعراف آية ٢٠٣، ﴿قل إنما أتبع ما يوحى إليَّ من ربي﴾. «الأمر كله في قبضته تعالى، ولا شيء لي منه إلا السمع والطاعة لما يوحي به إليَّ» [4]. يقول ناصر مكارم الشيرازي في تفسير الآية: «.. ويتضح من هذه الآية أن جميع

١- محمد السبزواري: الجديد في تفسير القرآن - جـ ٣ - ص ٤٠٩، ٤١٠ .
٢- الطباطبائي: الميزان - جـ ١٠ - ص ٢٨ .
٣- عبدالله شبر: التفسير المبين - جـ ٣ - ص ١٤٣، ١٤٤ .
٤- مغنية: التفسير المبين - ص ٢٢٥ .

أقوال النبي وأفعاله مصدرها وحي السماء، ومن قال بغير ذلك فهو بعيد عن القرآن» [1].

وجاء في مجمع البيان في تفسير الآية: «قل» يا محمد لهم، «إنما أتبع ما يوحى إليَّ من ربي» أي لست آتي بالآيات من عندي وإنما يفعلها الله تعالى ويظهرها على حسب ما يعلم من المصلحة في ذلك لا بحسب اقتراح الخلق، وإنما أتبع الوحي ولا أتعداه وليس لي أن أسأله إنزال الآيات إلا بعد إذنه في السؤال.. وفي هذه الآية دلالة على أن أفعال النبي (ص) وأقواله تابعة للوحي وأنه لا يجوز أن يعمل بالرأي والقياس [2]. ولهذا جاء في تفسير الجوهر الثمين: «إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ»، ما أنبأتكم بما كان أو يكون إلا بالوحي، تبرء من دعوى الألوهية والملكية، وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر» [3] وهذا مصداق قوله تعالى: «قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ». وبهذا المعنى جاء عن الشيخ الطوسي: «.. وما أتبع إلا ما يوحي الله به إليَّ. وبين لهم أن الملك من عند الله، والوحي هو البيان الذي ليس بإيضاح.. وإنما أمره بأن يقول ذلك لئلا يدَّعوا فيه ما ادعت النصارى في المسيح، ولئلاَ ينزلوه منزلة خلاف ما يستحقه» [4].

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسير الآية: «في الآية

١- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل - جـ ٥ - ص ٣١٥ .

٢- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٤ - ص ٦٣٦ . وانظر الطوسي: التبيان جـ ٥ -ص ٦٦ . وانظر السبزواري: الجديد - جـ ٣ - ص٢٥٠ . وانظر مغنية: التفسير الكاشف - جـ ٩ - ص ٤٤٠، ٤٤١ .

٣- عبدالله شبر: الجوهر الثمين - جـ ٢ - ص ٢٦١ .

٤- الطوسي: التبيان - جـ ٤ - ص١٤٢ .

الثالثة رد على الذين كانوا يتصورون النبي (ص) ملكاً، أو أن يصاحبه ملك، وأن لا يتصف بما يتصف به البشر من تناول الطعام والسير في الطرقات، وغير ذلك، فقال: ﴿ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ﴾، يتضح من هذه الآية بجلاء أن كل ما كان عند رسول الله (ص) من علم وكل ما فعله كان بوحي من السماء، وأنه لم يكن يفعل شيئاً باجتهاده ولا بالقياس ولا بأي شيء آخر.. وإنما كان يتبع الوحي في كل أمر من أمور الدين» [1]. وبهذا جاء عن السبزواري في قوله: «**﴿إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ﴾، ولكني أسير وفق ما يردني من أوامر الوحي، ولا أدعي الملكية والإلهية، بل اختارني الله سبحانه للنبوة وميزني بها**» [2]. وفي العيون عن الرضا (ع): «.. **لأن رسول الله (ص) لم يكن ليحرم ما أحل الله، ولا ليحلل ما حرم الله، ولا ليغير فرائض الله وأحكامه، وكان في ذلك متبعاً مسلماً مؤدياً عن الله عز وجل، وذلك قول الله عز وجل: ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ﴾ فكان متبعاً لله مؤدياً عن الله ما أمر به من تبليغ الرسالة..**» [3].

ومما يؤكد ذلك ما جاء في سورة النحل، آية ٤٤: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**﴾ يقول محمد جواد مغنية في تفسيرها: «**هذه هي مهمة الأنبياء أن ينقلوا عن الله لعباده**

١- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل - جـ ٤ - ص ٢٧٧ .

٢- محمد السبزواري: الجديد - جـ ٣ - ص ٤٣ .

٣- المشهدي: كنز الدقائق - جـ ٣ - ص ٢٨، ٢٨ . وانظر الفيض الكاشاني: الصافي - جـ ٢ - ص ١٢٢ وانظر الحر العاملي: وسائل الشيعة - جـ ٢٧ - ص ١١٣، ١١٤ .

حرامه وحلاله وثوابه وعقابه، لا أن يتنبأ كل نبي ويجتهد طبقاً لمزاجه وخياله، وإلا كان الأنبياء تماماً كأبي حنيفة ومالك والشافعي وغيرهم من أئمة المذاهب! وبهذا يتبين الخطأ في قول من قال من علماء السنة: يجوز للنبي أن يجتهد فيما لا نص فيه» [1]. ولهذا يقول الطبرسي: «.. إن النبي (ص) إذا كان يوحى إليه وله طريق إلى العلم بالحكم فلا يجوز أن يحكم بالظن، على أن الحكم بالظن والاجتهاد والقياس.. وأيضاً لو جاز للنبي (ص) أن يجتهد لجاز لغيره أن يخالفه، كما يجوز للمجتهدين أن يختلفوا، ومخالفة الأنبياء تكون كفراً، هذا وقد قال الله سبحانه: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ فأخبر سبحانه أنه إنما ينطق عن جهة الوحي، ويقوي ما ذكرناه قوله تعالى: ﴿ففهمناها سليمان﴾، أي علمناه الحكومة في ذلك.. ﴿وكلاً آتينا حكماً وعلماً﴾، أي كل واحد من داود وسليمان أعطيناه حكمه، وقيل معناه النبوة وعلم الدين والشرع» [2].

يقول السيد الطباطبائي في تفسير الآية: «.. وإنما اخترناك لتوجيه الخطاب وإلقاء القول، لا لنحملك قدرة غيبية وإرادة تكوينية إلهية فنجعلك مسيطراً عليهم وعلى كل شيء.. أن تبين للناس ما نزل إليهم، لأن المعارف الإلهية لا ينالها الناس بلا واسطة.. فيتبصروا أن ما جئت به حق من عند الله.. أن ليس لك

١- محمد جواد مغنية: التفسير المبين - ص ٣٥١ .

٢- الطبرسي: مجمع البيان - جـ ٧ - ص ٧٩ .

فيما جئت به صنع ولا لك من الأمر شيء، وأن الله أنزله بعلمه وأيدك لذلك بقدرته» [1]. وهذا مصداق قوله تعالى: **﴿فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾** النحل، ٣٥ . وقوله تعالى **﴿واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله﴾** يونس، ١٠٩ . وقوله تعالى: **﴿ قل إنما أتبع ما يوحى إليَّ من ربي﴾** الأعراف، ٢٠٣ . وقوله: **﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء﴾**. الأعراف، ٣ . وقوله: **﴿.. وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم﴾** المائدة، ٤٩ . وقوله: **﴿يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم﴾** النساء، ١٧٠ . وقوله: **﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾**، البقرة، ٢٨٥ .

تحدد هذه الآيات وغيرها، أن التشريع ووضع القوانين الإلهية، وكل ما أخبر به الرسول (ص) هو وحي من الله سبحانه، إذن، كل ما أخبر به الرسول (ص) فهو من عند الله لا ريب فيه، وبهذا تكون الولاية التشريعية من شؤون الوحي، وليس فيه من النبي (ص) شيء وعلى هذا، فالولاية التشريعية لله سبحانه، فهو الولي المطلق، لا يشاركه في ذلك أحد من عباده، **﴿ألا له الخلق والأمر﴾**. وبهذا تنحصر الولاية التشريعية والتكوينية معاً في الله سبحانه. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين والسادة المنتجبين صلاة دائمة تملأ أقطار السماوات والأرضين، واجعلنا يا إلهي وسيدي ومولاي، من

١- الطباطبائي: الميزان - جـ ١٢ - ص ٢٦٠ .

المتمسكين بحبلهم والمظهرين لفضائلهم، فمن تمسك بهم نجا، ومن تخلف عنهم هلك وهوى، لقول رسول الله (ص) الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، «**مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى**» وقوله (ص): «**إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وأهل بيتي**»، صلوات الله عليهم، وهم: أمير المؤمنين وإمام المتقين أفضل الأولين والآخرين بعد رسول رب العالمين، والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، والإمامان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، اللهم وصلّ على أئمة الهدى ومصابيح الدجى علي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، والخلف الهادي المهدي الحجة بن الحسن، اللهم العن الناصبين لهم العداوة والناكرين لفضائلهم والغاصبين لحقوقهم، والعن اللهم المغالين فيهم إنك سميع الدعاء.

المؤلف

٤ شوال ١٤١٩ هـ

الموافق ١٩٩٩/١/٢٢ م

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- أبو القاسم الخوئي: التنقيح في شرح العروة الوثقى - بقلم الغروي - ط٣ - النجف الأشرف - مطبعة الآداب - ١٤١٠ هـ.

٣- أبو القاسم الديباجي: الإمامة دراسة معاصرة - ط١ - ١٤١٨هـ .

٤- أمير محمد القزويني: أصول الشيعة وفروعها - ط٢ - بيروت - دار الزهراء - ١٩٨٥م.

٥- أمير محمد القزويني: أصول المعارف - ط١ - صيدا - مطبعة العرفان.

٦- جعفر السبحاني: الإلهيات - ط٢ - بيروت - الدار الإسلامية - ١٩٨٩م .

٧- جعفر السبحاني: كليات في علم الرجال - ط٣ - قم - مؤسسة النشر الإسلامي - ١٤١٤هـ .

٨- جعفر السبحاني: معالم التوحيد في القرآن الكريم - ط٢ - بيروت - دار الأضواء - ١٩٨٤م .

٩- جوادي آملي: جولة في مباني ولاية الفقيه - قضايا إسلامية - العدد الأول - ١٤١٨هـ .

١٠- جوادي آملي: ولاية الإنسان في القرآن - ط١ - بيروت - دار الصفوة - ١٩٩٣م.

١١- جوادي آملي: ولاية الفقيه والقيادة في الإسلام - ط١ - بيروت - دار الهادي - ١٩٩٣م .

١٢- الحر العاملي: وسائل الشيعة - قم - مؤسسة آل البيت - ١٤١٢هـ .

١٣- روح الله الموسوي الخميني: الحكومة الإسلامية - بدون معلومات.

١٤- الشريف المرتضى: الذخيرة في علم الكلام.

١٥- الشيخ الطوسي: الأمالي - ط٢ - بيروت - مؤسسة الوفاء - ١٩٨١م.

١٦- الشيخ الطوسي: التبيان في تفسير القرآن - تحقيق الشيخ أحمد العاملي - النجف الأشرف - مكتبة الأمين.

١٧- الشيخ المفيد: تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد - بيروت - دار الكتب الإسلامية - ١٩٨٣م.

١٨- الشيخ المفيد: النكت الاعتقادية - ط ٢ - بيروت - دار المفيد - ١٤١٤هـ .

١٩- عبدالأعلى السبزواري: مواهب الرحمن في تفسير القرآن - ط٢ - بيروت - ١٩٨٨م.

٢٠- عبدالحسين دستغيب: أجوبة الشبهات - ط ٢ - بيروت - دار البلاغة - ١٩٩٣م.

٢١- عبدالله شبر: الجوهر الثمين - ط١ - الكويت - مكتبة الألفين - ١٩٨٦م .

٢٢- عبدالله نعمة: عقيدتنا .

٢٣- عبد علي بن جمعة الحويزي: تفسير نور الثقلين - قم - ١٤١٥هـ .

٢٤- علاء الدين القزويني: مسائل عقائدية في الغلو والتفويض - ط٢ - منقحة ومزيدة .

٢٥- العلامة الحلي: كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد - ط١ - بيروت - دار الصفوة - ١٩٩٣م.

٢٦- علي الحسيني الخامنئي: الحكومة في الإسلام - ط١ - بيروت - دار الروضة - ١٩٩٥م.

٢٧- علي الحسيني الخامنئي: الخطوط العامة للفكر الإسلامي في القرآن - ط١ - بيروت - منشورات الربيع - ١٩٩٤م.

٢٨- علي الصافي الكلبايكاني: الدلالة إلى من له الولاية - ط١ - قم - مكتبة المعارف الإسلامية - ١٤١٧هـ.

٢٩- علي المؤمن: النظام السياسي الإسلامي - قضايا إسلامية معاصرة - العدد الأول - ١٤١٨هـ.

٣٠- الفضل بن الحسن الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن - ط١ - بيروت - دار إحياء التراث العربي - ١٩٨٦م.

٣١- الفيض الكاشاني: تفسير الصافي - ط٢ - بيروت - مؤسسة الأعلمي - ١٩٨٢م.

٣٢- كاظم الحائري: أساس الحكومة الإسلامية - ط١ - بيروت - الدار الإسلامية - ١٩٧٩م.

٣٣- كاظم الحائري: الإمامة وقيادة المجتمع - ط١ - قم - مطبعة باقري - ١٩٩٥م.

٣٤- محسن الأمين العاملي: نقض الوشيعة - ط٤ - بيروت - موسسة الأعلمي - ١٩٨٣م.

٣٥- محمد باقر المجلسي: مرآة العقول - ط٢ - طهران - دار الكتب الإسلامية - ١٩٦٣م.

٣٦- محمد بن علي الكراجكي: كنز الفوائد - بيروت - دار الأضواء - ١٩٨٥م.

٣٧- محمد تقي الفلسفي: المعاد بين الروح والجسد - ط١ - بيروت - مؤسسة الأعلمي - ١٩٩٣م.

٣٨- محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة الإسلامية - بيروت - دار الحق - ١٩٩٣م.

٣٩- محمد جواد البلاغي: آلاء الرحمن في تفسير القرآن - بيروت - دار إحياء التراث العربي.

٤٠- محمد جواد مغنية: التفسير الكاشف - ط٢ - بيروت - دار العلم للملايين - ١٩٧٨م.

٤١- محمد جواد مغنية: التفسير المبين - ط٣ - بيروت - دار الجواد - ١٩٩٠م.

٤٢- محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن - بيروت - مؤسسة الأعلمي - ١٩٩١م.

٤٣- محمد رضا المظفر: عقائد الإمامية - ط٣ - الكويت - مكتبة الألفين - ١٩٩٣م.

٤٤- محمد السبزواري: الجديد في تفسير القرآن المجيد - بيروت - دار التعارف - ١٩٨٢م.

٤٥- محمد الشيرازي: إيصال الطالب إلى المكاسب - طهران - مؤسسة الأعلمي.

٤٦- محمد الغروي: المختار من كلمات الإمام المهدي - ط١ - قم - دار المجتبى - ١٤١٤هـ.

٤٧- محمد مهدي الكاظمي القزويني: بوار الغالين - بمبي - مطبعة المصطفائي - ١٣٣٢هـ.

٤٨- مرتضى العسكري: عقائد الإسلام من القرآن - طهران - مطبعة صدرا - ١٤١٤هـ.

٤٩- مفيد الفقيه: العقل في أصول الدين - ط١ - بيروت - الدار العالمية - ١٩٩٢م.

٥٠- الميرزا علي الحائري الإحقاقي: عقيدة الشيعة.

٥١- الميرزا محمد المشهدي: تفسير كنز الدقائق - قم - مؤسسة النشر الإسلامي - ١٤١٣هـ.

٥٢- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - ط١ - بيروت - دار البعثة - ١٩٩٢م.

٥٣- نصير الدين الطوسي: رسالة في قواعد العقائد - ط١ - بيروت - دار الغربة - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٥٤- نور الدين الكاشاني: تفسير المعين - ط١ - قم - مطبعة بهمن.

٥٥- هاشم الحسيني البحراني: البرهان في تفسير القرآن - قم ١٤١٧هـ.

٥٦- يوسف صانعي: الولاية - ط١ - بيروت - دار الروضة - ١٩٩٤م.

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	٥
جملة من أقوال العلماء في الولاية التكوينية والتشريعية.	١٩
المعجزة من فعل الله سبحانه يجريها على أيدي أنبيائه.	٣٧
جملة من أقوال العلماء في المعجزة.	٥٣
أدلة انحصار الولاية التكوينية في الله سبحانه.	٧٣
الدليل الأول:	٧٣
الآية الأولى: أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير	٧٣
الآية الثانية: وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير	٧٤
أولاً: معنى الخلق ومن الخالق	٧٤
ثانياً: معنى ﴿جئتكم بآية من ربكم﴾ و ﴿وإذ جئتهم بالبينات﴾	٧٩
ثالثاً: معنى ﴿بإذن الله﴾	٨١
رابعاً: الاستدلال بالآيتين على انحصار الولاية التكوينية بالله سبحانه	٨٢
خامساً: بطلان من استدل بالآيتين على الولاية التكوينية للأئمة (ع)	٩٣
الدليل الثاني:	٩٥
الآية الأولى: ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه	٩٨
الآية الثانية: وإذ قال إبراهيم ربي أرني كيف تحيي الموتى	١٠٠
ملخص الدليل الثاني:	١٠٥

الدليل الثالث: قال الذي عنده علم من الكتاب ١٠٦
الدليل الرابع: الله يتوفى الأنفس حين موتها، قل
يتوفاكم ملك الموت... ١١٢
الدليل الخامس: طائفة من الآيات تدل على حصر الولاية
التكوينية بالله سبحانه... ١٢٤
الآية الأولى: **قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا**
مائدة من السماء... ١٢٤
الآية الثانية: **فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت...**
١٢٨
الآية الثالثة: **ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم...** ١٣٠
الآية الرابعة: **الا له الخلق والأمر** ١٣٢
الآية الخامسة: **قل لو أن عندي ما تستعجلون به** ١٣٣
الآية السادسة: **وربك يخلق ما يشاء ويختار** ١٣٦
الآية السابعة: **الآيات التي تسند الموت والحياة لله سبحانه** ١٣٩
الآية الثامنة: **وان ألقِ عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان...** ١٤٣
الآية التاسعة: **قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم** ١٤٥
أدلة انحصار الولاية التشريعية بالله سبحانه ١٤٩
الدليل الأول: ويستفتونك في النساء قل الله
يفتيكم فيهن... ١٦٥
الدليل الثاني: إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين
الناس بما أراك الله... ١٦٩
الدليل الثالث: قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ١٧٣
المصادر والمراجع: ١٨٢
آثار المؤلف: ١٩٠

آثار المؤلف

آثاره المطبوعة:

١- الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية. (رسالة دكتوراه) .
٢- الشيعة الإمامية ونشأة العلوم الإسلامية.
٣- الثقلان كتاب الله وأهل البيت في السنة النبوية.
٤- مع الدكتور موسى الموسوي في كتابه الشيعة والتصحيح.
٥- زواج المتعة في كتب أهل السنة.
٦- الشيعة نشأتهم وأصولهم العقائدية.
٧- عقائد الشيعة وأهل السنة في أصول الدين.
٨- مسائل عقائدية في الغلو والتفويض، الخلق والرزق، العلم بالغيب، الحقيقة المحمدية.
٩- الولاية التكوينية والتشريعية في ضوء الكتاب والسنة وأقوال العلماء. وهو هذا الكتاب.

آثاره الغير مطبوعة:

١- الإمام علي فلسفته وآراؤه في التربية والتعليم.
٢- نقض شبهات السنة حول الشيعة من كتب السنة.
٣- إثبات خلافة الإمام علي من كتب أهل السنة.
٤- تأسيس الشيعة للفلسفة الإسلامية والمنهج التجريبي.
٥- المعتزلة فلسفتهم وآراؤهم في التربية والتعليم. (رسالة ماجستير).

مكتبة الجواد العامة
مؤسسة السيدة بنت الحسين
السيد سالم
تأسست سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م
شط الكاظمية - العراق